الباب الأول

الدراسة النظرية

- التمهيد : التعريف بعلم الدلالة
- الفصل الأول: الدلالة وحدتها وأنواعها.
- الفصل الثانى: التغير الدلالى أسبابه وأعراضه.
- الفصل الثالث: تعدد المعنى : الترادف والمشترك اللفظى والتضاد.
- الفصل الرابع: مناهج دراسة المعنى

التمهيد

التعريف بعلم الدلالة

تعريفه:

علم الدلالة (بفتح الدال وبكسرها) Semantics أو علم المعنى هو " العلم الذى يدرس المعنى "، أو ذلك الفرع من علم اللغة الذى يتناول نظرية المعنى[١] وهو قمة الدراسات الصوتية والصرفية والنحوية.

من تناوله بالدراسة:

لقد تناوله بالدراسة علماء مختلفو التخصصات، والاهتمامات؛ مثل: اللغويين، والفلاسفة، وعلماء النفس، وعلماء الأنثربولوجيا، وعلماء السياسة والاقتصاد، وجماعات من الفنانين، والأدباء والصحفيين؛ وذلك لأن المعنى اللغوى من شأنه أن يشغل المتكلمين جميعا على اختلاف طبقاتهم، ومستوياتهم الفكرية[٢].

أسماؤه:

لهذا العلم أسماء أخرى إلى جانب مصطلح Semantics من هذه الأسماء Semasiology ,Semology , Sematology Semantics[٣].

وإن كان المصطلح الذى أصبح شائعا، ويطلق على هذا العلم هو المصطلح:Semantics؛ أى: علم الدلالة.

موضوعه:

لقد اختلف العلماء فى موضوع هذا العلم؛ فمنهم من جعله خاصا بدراسة معانى الكلمات المفردة " [٤]، وهذه – كما يقول المدققون – نظرة ضيقة قنعت بالأمور السطحية ولم تأت بجديد فى هذا الشأن أكثر من تقديم تسمية جديدة

---

(١) علم الدلالة د. أحمد مختار عمر ١١ .

(٢) انظر: علم اللغة مقدمة للقارئ العربى ٢٦١، ومناهج البحث فى اللغة ٢٤٠ .

(٣) انظر: علم الدلالة إطار جديد لبالمر ١١ .

(٤) انظر: أسس علم اللغة ٤٤ .

لدراسة قديمة معروفة، هى صناعة المعجمات، وما يرتبط بها من تصنيف كلمات اللغة وإعطائها معانيها العامة" [١].

ومنهم من جعله يشمل جانبين: جانب اللفظة المفردة، وجانب دراسة المعنى ومشكلاته على مستوى التراكيب؛ أى أن موضوع علم الدلالة عند هؤلاء له فرعان: الدلالة المعجمية Lexical Semantics، والدلالة النحوية Syntactic Semantics والفرع الثانى يلتقى فى كثير من جوانبه مع نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجانى[٢].

وفريق ثالث خصص الدلالة "لدراسة المعنى على مستوى اللفظة والعبارة كليهما، ولكن فى إطار اجتماعى معين، ومن زاوية معينة، هى زاوية الاستعمال فى البيئة الخاصة " [٣]؛ أى أن دراسة اللفظة أو العبارة تتم من خلال مسرحها اللغوى.

تاريخه:

(١) الفلاسفة اليونان:

الدراسة الدلالية قديمة قدم التفكير الإنساني، ومواكبة لتقدمه وتطوره؛ فقد تعرض الفلاسفة اليونانيون من قديم الزمان فى بحوثهم ومناقشاتهم لموضوعات تعد من صميم علم الدلالة؛ فقد " تكلم أرسطو مثلا عن الفرق بين الصوت والمعنى، وذكر أن المعنى متطابق مع التصور الموجود فى العقل المفكر. وميز أرسطو بين **أمور ثلاثة:**

أ – الأشياء فى العالم الخارجى.

ب – التصورات = المعانى.

جـ – الأصوات = الرموز أو الكلمات.

---

(١) دراسات فى علم اللغة، القسم الثانى ١٥٣ .

(٢) انظر: دراسات فى علم اللغة، القسم الثانى ١٥٣، وأصول تراثية فى علم اللغة٢٦٦.

(٣) دراسات فى علم اللغة، القسم الثانى ١٥٣، وانظر: من وظائف الصوت اللغوى١٠.

وكان تمييزه بين الكلام الخارجى، والكلام الموجود فى العقل الأساس لمعظم نظريات المعنى فى العالم الغربى خلال العصور الوسطى" [١].

ومن الموضوعات الدلالية التى درست علاقة اللفظ بالمعنى التى تعرض لها أفلاطون فى محاوراته عن أستاذه سقراط، وكان اتجاه أفلاطون نحو العلاقة الطبيعية الذاتية؛ بادعاء أن تلك الصلة الطبيعية كانت واضحة سهلة التفسير فى بدء نشأتها، ثم تطورت الألفاظ، ولم يعد من اليسير أن نتبين بوضوح تلك الصلة، أو نجد لها تعليلا وتفسيرا، أما أرسطو فكان متزعما لفريق آخر يرى أن الصلة بين اللفظ ومدلوله لا تعدو أن تكون اصطلاحية عرفية تواضع عليها الناس، وقد أوضح أرسطو آراءه عن اللغة وظواهرها فى مقالات تحت عنوان (الشعر والخطابة)، وبين فيها عرفية الصلة بين اللفظ ومعناه[٢].

(٢) الهنود:

لقد عالج الهنود منذ وقت مبكر جدا كثيرا من المباحث التى ترتبط بفهم المفردات والجمل، بل إنهم ناقشوا معظم القضايا التى يعتبرها علم اللغة الحديث من مباحث علم الدلالة.

من هذه الموضوعات التى ناقشوها[٣]:

(أ) نشأة اللغة: هذا الموضوع من الموضوعات التى اختلفت فيها وجهات النظر بين علماء الهند؛ فمنهم من رأى أن اللغة قديمة وهبة إلهية ليست من صنع البشر، ومنهم من رأى أنها من اختراع الإنسان ونتاج نشاطه الفكرى.

(ب) العلاقة بين اللفظ والمعنى: درس علماء الهند هذا الموضوع، وتعددت حوله الآراء؛ فمنهم من رفض فكرة التباين بين اللفظ والمعنى قائلا: إن كل شىء يتصور مقترنا بالوحدة الكلامية الدالة عليه، ولا يمكن فصل أحدهما عن الآخر.

---

(١) علم الدلالة ١٧

(٢) انظر: دلالة الألفاظ ٦٣، وعلم الدلالة ١٨ .

(٣) انظر: علم الدلالة ١٨ – ٢٠ .

ومنهم من صرح بأن العلاقة بين اللفظ ومعناه علاقة قديمة وفطرية أو طبيعية. ومنهم من قال بوجود علاقة ضرورية بين اللفظ والمعنى، شبيهة بالعلاقة اللزومية بين النار والدخان. ومنهم من رأى أن الصلة بين اللفظ والمعنى مجرد علاقة حادثة، ولكن طبقا لإرادة الله.

(جـ) <u>أنواع الدلالات للكلمة:</u> لقد قسم الهنود أنواع الدلالات للكلمة إلى أربعة أقسام كالآتى:

- قسم يدل على مدلول عام شامل (رجل).
- قسم يدل على كيفية (طويل).
- قسم يدل على حدث (جاء).
- قسم يدل على ذات (محمد).

(د) <u>مسائل متفرقة:</u> من المسائل الدلالية التى درسها الهنود:

١- أهمية السياق فى إيضاح المعنى.

٢- وجود الترادف والمشترك اللفظى؛ كظاهرة عامة فى اللغات.

٣- دور القياس والمجاز فى تغيير المعنى.

(٣) اللغويون العرب:

لقد كان للغويين العرب اهتمام فى بحوثهم بدلالة الكلمات، وتعد أعمالهم المبكرة من مباحث علم الدلالة؛ **<u>مثل:</u>**

- الكتب المصنفة فى غريب القرآن، وغريب الحديث.
- مجاز القرآن.
- الوجوه والنظائر فى القرآن؛ أى المشترك اللفظى فى القرآن الكريم.
- معاجم الموضوعات.
- معاجم الألفاظ.
- ضبط المصحف يعد عملا دلاليا؛ لأن تغيير الضبط يؤدى إلى تغيير وظيفة الكلمة، التى تؤدى إلى تغيير المعنى، والدليل على ذلك قوله

تعالى: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾[1]؛ حيث إن لحن القارئ فيها بجر كلمة (ورسوله) بدلا من رفعها أدى إلى تغيير المعنى، وكان ذلك من أسباب وضع النحو.

وقد تنوعت اهتمامات اللغويين العرب حتى غطت جوانب كثيرة من الدراسة الدلالية؛ **من ذلك:**

محاولة ابن جنى فى ربط تقلبات الكلمة المختلفة بمعنى واحد، وهو ما سماه بالاشتقاق الأكبر؛ كقوله: "من ذلك تراكيب (ق س و)، (ق وس)، (و س ق)، (س و ق) وأهمل (س ق و) وجميع ذلك إلى القوة والاجتماع" [2].

محاولة ابن فارس الرائدة فى معجمه مقاييس اللغة التى ربط فيها المعانى الجزئية للمادة بمعنى عام يجمعها يقول فى مادة (أزق): " الهمزة والزاء والقاف قياس واحد وأصل واحد، وهو الضيق، قال الخليل وغيره: الأزق الضيق فى الحرب، وكذلك يدعى مكان الوغى المأزق. قال ابن الأعرابى: يقال استؤزق على فلان إذا ضاق عليه المكان فلم يطق أن يبرز" [3].

محاولة الزمخشرى فى معجمه أساس البلاغة التى فرق فيها بين المعانى الحقيقية والمعانى المجازية؛ من ذلك ما يقوله فى مادة (أبد) يقول: " لا أفعله أبد الآباء وأبد الأبيد، وأبد الآبدين.

وتقول: رزقك الله عمرا طويل الآباد بعيد الآماد. وأبدت الدواب وتأبدت: توحشت، وهى أوابد ومتأبدات. وفرس قيد الأوابد، وهى نفر الوحوش.

وقد تأبد المنزل: سكنته الأوابد.

وتأبد فلان: توحش.

وطيور أوابد خلاف القواطع.

---

(١) التوبة ٣ .

(٢) الخصائص ١٣٦/٢ .

(٣) مقاييس اللغة (أزق) ٥٥/١ .

ومن المجاز: فلان مولع بأوابد الكلام؛ وهى غرائبه، وبأوابد الشعر؛ وهى التى لا تشاكل جودة؛ قال الفرزدق [الكامل]:

لن تدركوا كرمى بلؤم أبيكم وأوابدى بتنخل الأشعار

وقال النابغة [الكامل]:

نبئت زرعة والسفاهة كاسمها يهدى إلى أوابد الأشعار

وجئتنا بآبدة ما نعرفها" [١].

البحوث الدلالية التى امتلأت بها كتب اللغة؛ مثل: الخصائص لابن جنى، والصاحبى فى فقه اللغة، لابن فارس، وفقه اللغة وسر العربية للثعالبى، والمزهر للسيوطى.

(٤) الأصوليون (علماء أصول الفقه):

لقد اهتم الأصوليون بقضية المعنى، وفطنوا إلى أن المعنى هو العلاقة المتبادلة بين اللفظ ومدلوله.

ولقد تناولوا دلالة الألفاظ على المعانى باعتبارات متعددة؛ " فباعتبار المتكلم والمخاطب أو المستمع هناك الدلالة الحقيقية؛ وهى ما يقصده التكلم بألفاظه، والدلالة الإضافية (النسبية) وهى ما يفهمه السامع أو المخاطب، وباعتبار كمال المعنى الموضوع له اللفظ هناك دلالة المطابقة[٢] والتضمن[٣] والالتزام[٤]، وباعتبار شمول اللفظ لأفراده محصورين أو غير محصورين هناك العام والخاص والمشترك؛ والخاص يشمل المطلق والمقيد كما يشمل الأمر والنهى، وباعتبار الاستعمال وشيوعه وتغير المعنى من زمن إلى زمن، أو من بيئة إلى

---

(١) أساس البلاغة (أبد) ٩ .

(٢) دلالة المطابقة: كدلالة لفظ بيت على معنى البيت .

(٣) دلالة التضمن: كدلالة لفظ بيت على معنى السقف؛ لأن البيت يتضمن السقف .

(٤) دلالة الالتزام: هى أن يكون اللفظ له معنى، وذلك المعنى له لازم من خارج فعند فهم مدلول اللفظ ينتقل الذهن من مدلوله إلى لازمه؛ مثل دلالة لفظ سقف على الحائط؛ لأن السقف لا ينفك عن الحائط . انظر: دراسة المعنى عند الأصوليين ١٧، ١٨، وأصول تراثية فى علم اللغة ٢٧٢ .

بيئة هناك الحقيقة والمجاز، ومن حيث الوضوح والخفاء فى المعنى تقسم الألفاظ إلى الواضح والغامض، وهذا الأخير ينقسم بدوره إلى المتشابه والمشكل والمجمل والخفى، والواضح ينقسم إلى ظاهر ونص ومفسر ومحكم، ومن حيث طرق الدلالة هناك دلالة بعبارة النص(١)، ودلالة بإشارته(٢)، وثالثة بفحواه(٣)، ورابعة باقتضائه" (٤) (٥).

---

(١) عبارة النص: هى المعنى المفهوم من اللفظ سواء أكان ظاهرا فيها أم كان نصا، وسواء أكان محكما أم كان غير محكم؛ مثل قوله تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾[الحج:٣٠]، فإنه يفهم بدلالة العبارة أن شهادة الزور جريمة. أصول الفقه للشيخ محمد أبو زهرة ١٢٤، ١٢٥ .

(٢) إشارة النص: " هى ما يدل عليه اللفظ بغير عبارته، ولكنه يجيء نتيجة لهذه العبارة، فهو يفهم من الكلام، ولكن لا يستفاد من العبارة ذاتها؛ مثال ذلك قول الله تعالى فى سياق إباحة الزوجات ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾[النساء ٣]، يفهم منه بالعبارة أنه لا يحل له دينيا لا قضائيا أن يتزوج أكثر من واحدة، إذا تأكد أنه لا يعدل بين أزواجه، ويفهم بالإشارة أن العدل مع الزوجة واجب دائما، سواء أكان متزوجا واحدة، أم كان متزوجا أكثر من واحدة، وإن ظلم الزوجة حرام " . أصول الفقه للشيخ أبو زهرة ١٢٥، ١٢٦ .

(٣) دلالة الفحوى، وتسمى أيضا بدلالة النص كما تسمى بمفهوم الموافقة وقد تسمى بالقياس الجلى أو قياس الأولى، وتتمثل دلالة الفحوى فى فهم غير المنطوق به من المنطوق بدلالة سياق الكلام ومقصوده، وتعرف بأنها ما يكون مدلول اللفظ فى محل السكوت موافقا لمدلوله فى محل النطق؛ مثال ذلك قوله تعالى فى شأن الوالدين: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾[الإسراء:٢٣]، فإن النص يفيد بعبارته تحريم أن يقول لهما (أف)، وإذا كان قول (أف) لهما حراما، فبالأولى يحرم الضرب والشتم والإيذاء بأى نوع من أنواع الإيذاء، وهذا يفهم من فحوى الكلام. انظر: أصول الفقه للشيخ أبو زهرة ١٢٧، ودراسة المعنى عند الأصوليين ١٥٥، ١٥٦ .

(٤) دلالة الاقتضاء: هى دلالة اللفظ على كل أمر لا يستقيم المعنى إلا بتقديره. وقد قسم الأصوليون دلالة الاقتضاء إلى ثلاثة أقسام بحسب المقتضى لتقدير المحذوف .

القسم الأول: من المقتضى ما وجب تقديره لصدق الكلام شرعا، كقوله صلى الله عليه وسلم: (لا صيام لمن لا يبيت النية) أى لا يقع الصيام صحيحا لمن لا يبيت النية، فتقدر الصحة ليصدق الكلام .

القسم الثانى: ما وجب تقديره لصحة الكلام عقلا؛ كقوله تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾[العلق:١٧]، فإن النادى وهو المكان لا يدعىعقلا، إنما الذى يدعى من يكونون فيه،ولذا قدروا كلمة أهل، فقالوا المعنى: فليدع أهل ناديه.

القسم الثالث: ما وجب تقديره لصحة الكلام شرعا؛ مثل قوله تعالى: ﴿فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاء إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة:١٧٨]، فإنه لا تثبت شرعية الاتباع شرعا إلا إذا جاز أن يكون العفو بمال . انظر: أصول الفقه للشيخ محمد أبو زهرة ١٢٨، ١٢٩ ودراسة المعنى عند الأصوليين ١٥٣ – ١٥٥ .

(٥) دراسة المعنى عند الأصوليين١٢، وانظر: الوجيز فى أصول الفقه للدكتور عبد الكريم زيدان ص ٢٧٧ وما بعدها .

(٥) البلاغيون:

لقد اهتم البلاغيون بدراسة الدلالة، وتمثل ذلك فى دراستهم للحقيقة والمجاز،[١] ودراستهم لكثير من الأساليب؛ كالأمر والنهى والاستفهام ... ونظرية النظم عند عبد القاهر الجرجانى، وغيرها.

(٦) المحدثون[٢]:

كل المباحث الدلالية التى تناولها العلماء السابقون – سواء أكانوا يونانيين أم هنودا أم عربا – لم تكن بمنأى عن فروع اللغة الأخرى، ولم تظهر معالجة قضايا الدلالة بمفهوم العلم الذى له مناهجه الخاصة إلا فى أواخر القرن التاسع عشر بدأها اللغوى الفرنسى ميشيل بريال (Michel Breal) فى كتابه Essai de semantiqye سنه ١٨٩٧م وكانت عناية بريال بالدلالة مقصورة على الاشتقاق التاريخى لبعض ألفاظ اللغات الكلاسيكية: اليونانية، واللاتينية، والسنسكريتية.

ويبدو أن بريال كان يرى فى الأصول التى تحكم تغير المعنى خصائص عقلية مجردة، وذلك مثل: الحاجة إلى الوضوح، ولم يكن يعتنى هو ومن خلفه بالجوانب الاجتماعية وغير الاجتماعية للظروف الإنسانية التى يحدث فيها التغير.

لقد تطورت الدراسة الدلالية بعد بريال؛ حيث اتجه الدارسون إلى العوامل الخارجية ذات الأثر فى الألفاظ من إنسانية واجتماعية، وأخذوا يتساءلون عن الأسباب التى جعلت بعض الكلمات تتخصص دلالتها بعد العموم، أو تتحدر بعد السمو، وأرجعوا كل هذا إلى عوامل، ودوافع مرت فى تاريخ الأمم، وأدت إلى هذا التغير. وقد عنى فريق من الدارسين المحدثين بالنفس الإنسانية، والعاطفة

---

(١) انظر: دلالة الألفاظ ٧ – ١٢، وعلم اللغة مقدمة للقارئ العربى ٢٩١ – ٣٠٠، وعلم الدلالة ٢٢ – ٣٠، وعلم الدلالة إطار جديد ١٠ – ١٥، وأصول تراثية فى علم اللغة ٢٧٧ – ٢٨٢ .

(٢) انظر: دلالة الألفاظ ٧ – ١٢، وعلم اللغة مقدمة للقارئ العربى ٢٩١ – ٣٠٠، وعلم الدلالة ٢٢ – ٣٠، وعلم الدلالة إطار جديد ١٠ – ١٥، وأصول تراثية فى علم اللغة ٢٧٧ – ٢٨٢ .

ورأوا أن العاطفة قد تظلل بعض الألفاظ بظلال خاصة حين يستعملها الفرد، وأن هذه الظلال تختلف باختلاف الناس وتجاربهم فى الحياة، وقد تبين لهم أن الاستعمال الفردى قد يصادف هوى فى نفوس المستمعين، فيقلدونه، ويذيع بينهم، ويترتب على ذيوعه نوع من التغير الدلالى.

ومن المحاولات فى دراسة الدلالة أن يعمد الدارس إلى مجموعة من الألفاظ التى تنتمى إلى مجال واحد، فيتوفر على دراستها؛ ليتبين منها التى نمت دلالتها، والتى انكمشت فيها الدلالة، أو اختفت بمرور الأيام.

ومن الأمثلة على ذلك تلك الدراسة التى قام بها الأستاذ إبسن(Ipsen ١٩٤٢م) الألمانى الذى صنف مجموعة من الكلمات التى يجمعها معنى واحد، أو إطار دلالى يتصل بالأغنام ومولدها وأشكالها وتربيتها، وهذه الكلمات تنتمى إلى اللغات الهندو أوربية.

وهذا العمل يشبه العمل الذى قام به اللغويون المسلمون الذين صنفوا رسائل لغوية هى من صميم المجال الدلالى؛ مثل: كتاب الشاء للأصمعى وكتاب الحشرات لأبى خيرة الأعرابى، وكتاب النحل والعسل لأبى عمرو الشيبانى وكتاب الذباب لابن الأعرابى، وكتاب البئر لابن الأعرابى ٠٠٠ إلخ.

وفى عام ١٩٢٣م ظهر كتاب معنى المعنى (The Meaning of Meaning) لمؤلفيه أوجدن وريتشاردذ، وفيه عالج المؤلفان مشكلات الدلالة من نواحيها المختلفة، وبحثاها فى ضوء النظم الاجتماعية، وعلم النفس من شعور وعاطفة. الأمر الذى جعل لكتابهما قيمة علمية جليلة الشأن بين الدارسين للدلالة.

وفى منتصف القرن العشرين اقتحم قوم من غير اللغويين مجال البحث الدلالى، وأدلوا بدلوهم فيه متأثرين فى ذلك بما احترفوه من مهن أو تخصصوا فيه من دراسة. من هؤلاء عالم الطبيعة (بردجمان) الذى يذكر أنه وأمثاله من علماء الطبيعة يقفون أمام كلمات مثل: (الزمان والمكان والصوت) موقفا مباينا لما يشيع بين جمهور الناس، ويفهمونها فهما خاصا، ومن رأى هذا العالم أن

الدلالة يجب أن تخضع للتجربة كما تخضع لها الظواهر الطبيعية فى المعامـــل ! فإذا لم تخضع إحدى الدلالات للتجربة وجب اعتبار كلماتها مما لا معنى له.

ومن العلماء غير اللغويين الذين خاضوا غمار الدلالة ثورمان أرنولد، إنه من رجال الإدارة الحكومية والقانون، والذى دفعه إلى النظر فى مشكلة المعنى دوافع مختلفة، يدرس ثورمان أرنولد مشكلة (الرموز) بما فيها الكلمات ويناقش سلطانها علينا، ويحلل فى كتابه (فولكلور الرأسمالية) القوة السحرية التى تمتاز بها بعض العبارات الآسرة فى اللغة الإنجليزية الأمريكيـــة؛ مثـــل: The founders of this country (مؤسسو هذا البلد)، و The consititution (الدستور) تحليلا يثير الضحك المر والسخرية.

وقضية ثورمان أرنولد أن حكامنا يسيئون استعمال رموزنا: أى من يسيئون استعمال ما للكلمات من سلطان، موجهينه الوجهة التى يرضونها، بيد أنه لا يقدم لنا اقتراحا لوقف هذه الإساءة إلا لقيام بتمرينات مقوية فى تعريفـــات الكلمـــات والموضوعات.

هذا، وقد برز مؤلفون أوربيون كثر كتبوا فى علم الدلالة، **<u>من هؤلاء:</u>**

١ – ستيفن أولمان الذى أثرى المكتبة اللغوية بكتب متعددة فى علم الدلالـــة منها: أسس علم المعنى، وعلم المعنى، والمعنى والأسلوب، ودور الكلمة فى اللغة الذى ترجمه إلى العربية الأستاذ الدكتور كمال محمد بشر.

٢ – جون ليونز الذى أصدر عدة كتب فى علم اللغة يهمنا منها: علم الدلالة التركيبى ١٩٦٤م، وعلم الدلالة ١٩٧٧م.

وقد برز من بين المؤلفين العرب الأستاذ الدكتور إبراهيم أنيس الذى أثـــرى المكتبة اللغوية بكتبه المتعددة فى اللغة يهمنا منها: دلالة الألفاظ (١٩٥٨ م).

والأستاذ الدكتور أحمد مختار عمر فى كتابه علم الدلالـــة، وغيـــرهم كثيـــر تناولوا موضوع علم الدلالة ضمن مؤلفاتهم فى علم اللغة.

الفصل الأول

الدلالة: وحدتها وأنواعها

أولاً: الوحدة الدلالية Semantic unit

اختلف علماء اللغة المحدثون فى تعريف الوحدة الدلالية؛ " فمنهم من قال: إنها الوحدة الصغرى للمعنى، ومنهم من قال: إنها تجمع من الملامح التمييزية. ومنهم من قال: إنها أى امتداد من الكلام يعكس تباينا دلاليا " [١]، بل إن بعضهم قد اعتبر النص (a text) هو الوحدة الدلالية[٢].

ولقد اعتبر بالمر " الكلمة – بمعنى ما – وحدة من الوحدات الأساسية فى علم الدلالة " [٣]، ورجح الدكتور إبراهيم أنيس أن تكون الكلمة هى الوحدة الدلالية[٤].

أما الدكتور أحمد مختار عمر فإنه اختار رأى العالم اللغوى ندا (Nida) الذى قسم الوحدة الدلالية إلى أربعة أقسام رئيسية كالآتى[٥]:

١ – الكلمة المفردة.

٢ – أكبر من كلمة (تركيب).

٣ – أصغر من كلمة (مورفيم متصل).

٤ – أصغر من مورفيم (صوت مفرد).

ثم يبين الدكتور أحمد مختار أن الكلمة المفردة أهم الوحدات الدلالية؛ لأنها تشكل أهم مستوى أساسى للوحدات الدلالية.

والمستوى الثانى عند (ندا) أكبر من كلمة (تركيب) يدخل تحته **أنواع ثلاثة هى:**

---

(١) علم الدلالة ٣١ .

(٢) انظر: علم الدلالة ٣١ .

(٣) علم الدلالة إطار جديد ٦٢.

(٤) انظر: دلالة الألفاظ ٤٤ .

(٥) انظر: علم الدلالة ٣٢ – ٣٤ .

أ – التعبير (idiom)؛ مثل: ضرب كفا بكف. أى تحير.

ب – التركيب الموحد (unitary complex)؛ مثل: (البيت الأبيض) الذى لا يشير إلى مبنى، ولكن إلى مؤسسة سياسية.

جـ – المركب أو التعبير المركب، وهو يختلف عن التركيب الموحد فى أن الكلمة الرئيسية فيه ما تزال تنتمى إلى نفس مجالها الدلالى.

أما الجملة فيعتبرها بعض اللغويين من أهم وحدات المعنى، بل يعتبرها بعضهم أهم من الكلمة نفسها. وعند هؤلاء اللغويين لا يوجد معنى مستقل للكلمة، بل معناها داخل الجملة التى ترد فيها.

أما الوحدة الدلالية التى تعد أصغر من كلمة فتتمثل فى المورفيم المتصل؛ وهو الذى لا يستعمل منفردا مثل: (ان) فى كلمة (رجلان) حيث تمثل كلمة (رجل) مورفيما حرا، وعلامة التثنية تمثل مورفيما متصلا. ومثل: أحرف المضارعة، أى أن المورفيم المتصل يشمل السوابق واللواحق.

والوحدة الدلالية التى تعد أقل من مورفيم هى مثل: الضمة التى تدل على المتكلم، والفتحة التى تدل على المخاطب، والكسرة التى تدل على المخاطبة فى الضمائر: كتبتُ – كتبتَ – كتبتِ.

ثانياً: أنواع الدلالة

قسم الباحثون أنواع الدلالة <u>إلى ما يأتى:</u>

(١) الدلالة الصوتية:

للصوت أثره على المعنى؛ حيث يؤثر إبدال صوت مكان آخر على المعنى، وكذلك تغيير الحركة، وهو ما يسمى بالفونيم[١]، ومما يؤثر على المعنى أيضا النبر والتنغيم.

<u>وإليك توضيح ذلك بالأمثلة:</u>

---

(١) الفونيم: هو الوحدة الصوتية الصغرى التى إذا تغيرت تغير المعنى .

- قال تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ [1]،
- وقال جل وعلا: ﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾ [2].

" الآية الأولى جملة خبرية جاء الفعل (دحاها) فيها على الأصل فكانت فاء الكلمة دالا. أما الثانية فجملة قسم إنشائية يناسبها أن يصحب القسم نوع من التأكيد، ويرى الأقدمون أن الدال إذا لحقها التفخيم صارت طاء. فإذا ارتضينا قولهم هذا كان معنى ذلك أن المخرج واحد، وأن الذى حدث هو استبدال صفة التفخيم بصفة الترقيق. وهكذا يكون التفخيم بما يوحى به من الضخامة وسيلة من وسائل التأكيد لدعم الجملة القسمية " [3].

- ومن الأمثلة التى تبين تأثير التفخيم فى المعنى كلمتا (النضح والنضخ)[4] كلتاهما لسيلان الماء ونحوه، إلا أن الأول سيلان ضعيف فناسبته الحاء الرقيقة، والثانى سيلان قوى فناسبته الخاء المفخمة، وكذلك تغيير الحركة له أثره على المعنى من ذلك:

الأَمر والإِمر والأُمر:

" الأَمر (بفتح الهمزة) نقيض النهى، والأمر أيضا: كل حدث يحدث، وكل قصة تقع، والأمر أيضا: مصدر أمرت الشىء؛ أى كثرته قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ [5] ومنه قول النبى ﷺ: **(خير المال سكة مأبورة أو مهمرة مأمورة)**. هذه وجوه الأمر المستعملة فى كلام العرب، وجاء فى القرآن على معان أخر، ولكنها راجعة إلى ما ذكرناه؛ فمنها الأمر الذى يراد به

---

(١) النازعات ٣٠.

(٢) الشمس ٦

(٣) البيان فى روائع القرآن ٤٣٠/١ .

(٤) انظر: الخصائص لابن جنى ١٥٨/٢ .

(٥) الإسراء ١٦ .

القضاء كقوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾[1] قال المفسرون: معناه القضاء، وكذلك قالوا فى قوله: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾[2]، ومنها الأمر الذى يراد به الدين؛ كقوله: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾[3] وقوله تعالى:﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾ [4]، ومنها الأمر الذى يراد به العذاب؛ كقوله تعالى: ﴿وقال الشيطان لما قضى الأمر﴾[5] قال المفسرون: معناه لما وجب العذاب.

ومنها الأمر الذى يراد به القيامة؛ كقوله: ﴿وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾[6]، ومنها الأمر الذى يراد به الوحى؛ كقوله: ﴿يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾[7]، ومنها الأمر الذى يراد به الذنب، كقوله تعالى: ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾[8] أى جزاء ذنبها.

وأما الإِمر (بالكسر) فهو العجب، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً﴾[9].

وأما الأُمر (بضم الهمزة) فجمع أَمور من قولهم: فلان أَمور بالمعروف نَهوٌّ عن المنكر، وأصله: أُمُر بضم الميم، ثم خفف؛ لتوالى الضمتين؛ كما يقال فى رُسُل: رُسْل قال طرفة [البسيط]:

فُضْـــل أحلامهم عن جــارهم رُحْب الأذرع بالخـــير أُمُــر"[10]

---

(١) السجدة ٥ .

(٢) الأعراف ٥٤ .

(٣) المؤمنون ٥٣ .

(٤) التوبة ٤٨ .

(٥) إبراهيم ٢٢ .

(٦) الحديد ١٤ .

(٧) الطلاق ١٢ .

(٨) الطلاق ٩ .

(٩) الكهف ٧١ .

(١٠) المثلث لابن السيد البطليوسى، تحقيق/صلاح مهدى على الفرطوسى ١/٣١٤،٣١٣.

ومن الأمثلة أيضا على تغيير الحركة التى يتغير بتغيرها المعنى: الجَد والجِد والجُد: " الجَد (بالفتح): القطع، والجد أبو الأب، وأبو الأم، والجد: العظمة والجلال. قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾[1] والجد: الحظ والسعد. وفى الحديث: **(ولا ينفع ذا الجَد منك الجَد)**: أى من كان له سعد فى الدنيا لم ينفعه ذلك فى الآخرة إنما ينتفع بالعمل الصالح. وكان وجه الكلام أن يقال: ولا ينفع ذا الجد عنك أو لديك، ولكن جاز دخول من هاهنا إذا كان جده لا ينجيه من عذاب الله. ويجوز أن يكون المعنى: ولا ينفع ذا الجد الموهوب له منك فى الدنيا جده. وكان يقال لقيس بن خالد الشيبانى: ذو الجدين؛ لأنه كان أسر أسيرا له فداء عظيم، فقال له رجل: إنك لذو جد فى الأسارى. فقال آخر: بل والله ذو جدين.

وقال ابن ولاد: بل كان سبق فى ستين من الخيل فقيل له عند ذلك هذا القول، وإياه عنى قيس بن عاصم المنقرى بقوله [الطويل]:

أيا بنت عبد الله وابنة مالك ... ويا بنة ذى الجدين والفرس الورد

والجد أيضا: وكف البيت حكاه أبو عمر المطرز. هذه كلها مفتوحة. والجد (بالكسر): الانكماش فى الأمر. والجد نقيض الهزل. والجد: شاطئ النهر. ويقال: له جد (بالضم) وقال الخليل: جد كل شىء: جانبه بضم الجيم، والجد (بالضم) أيضا جمع الجَدَّاء من الشياه، وهى التى لا لبن فيها، وجمع الجداء من السنين، وهى التى لا ينزل فيها غيث، وجمع الجداء من الإبل، وهى المقطوعة الأذن، وجمع الجداء من النساء وهى التى لا ثدى لها، وهى أيضا الفلاة التى لا ماء فيها، قال الشاعر [الطويل]:

وجَداء ما يرجى بها ذو قرابة ... لوصل ولا يخشى السماة ربيئها

والجُد بالضم أيضا: الرجل العظيم الجُد، حكاه سيبويه بالضم، وحكاه يعقوب بالفتح. والجد بالضم أيضا: البئر تكون بين الكلأ.

---

(١) الجن ٩ .

قال الراعى [الكامل]:

حتى وردن لتمّ خمسٍ بائصٍ جُدا تعاوره الرياح وبيلا

ويقال: أجَدك لا تفعل كذا. وأجِدك (بالفتح والكسر)، ومعناه: أتجد جدا أم تهزل هزلا. وقال قوم: معناه: مالك لا تفعل والتفسير الأول هو الصحيح"[١].

المثالان السابقان يسميان بالمثلثات[٢]، ومن الأمثلة أيضًا **على هذا النوع**[٣]:

- الأربعاء (بفتح الهمزة، وفتح الباء وكسرها): اليوم المعروف من أيام الأسبوع.
- الأربعاء (بكسر الباء): الجداول التى يسقى بها الزرع واحدها ربيع.
- الأربعاء (بضم الباء): عمود من أعمدة الخباء.

البَشْر والبِشْر والبُشْر.

- البشر (بفتح الباء): مصدر بشرت الجلد إذا قشرته، ومصدر بشرت الحرف من الكتاب، ومصدر بشرت الرجل إذا بشرته.
- والبشر (بكسر الباء): طلاقة الوجه، ويقال: بشرته ببشر حسن، والبشر أيضا: اسم موضع، قال الأخطل [الطويل]:

سمونا بعرنينٍ أشمَّ وعارض لنمنع ما بين العراق إلى البِشْر

والبشر (بضم الباء): جمع بشير، وأصله الضم ثم يخفف، وقرأ بعض القراء: (هو الذى يرسل الرياح بُشُرا بين يدى رحمته)[٤].ولم تقتصر المثلثات على الأسماء فقط، بل وردت كذلك فى الأفعال **مثل**[٥]:

---

(١) المثلث لابن السيد البطليوسى ١/٣٩٥ – ٣٩٧ .

(٢) من المصنفات فى المثلثات: المثلث لقطرب تحقيق د. السويسى ط/تونس.والمثلث لابن السيد البطليوسى تحقيق د. صلاح الفرطوسى ط بغداد ١٩٨٢م. وإكمال الأعلام بتثليث الكلام لابن مالك، تحقيق سعد بن حمدان الغامدى ط/ جامعة أم القرى ١٩٨٤م. والغرر المثلثة والدر المبثثة للفيروزآبادى تحقيق سليمان العائد، رسالة ماجستير (خ) كلية اللغة العربية. مكة المكرمة ١٣٩٨ هـ .

(٣) انظر: المثلث لابن السيد البطليوسى ١/٣٤٥، وما بعدها .

(٤) الأعراف ٥٧، والحجة لمن قرأه بالباء وضم الشين أنه جعله جمع ريح بشور؛ وهى التى تبشر بالمطر . انظر: السبعة لابن مجاهد ٢٨٣، والحجة لابن خالويه ٨٦ .

(٥) انظر: المثلث لابن السيد البطليوسى ٢/٤٧٩ –٤٨٤ .

١ - يَهَش ويَهِش ويَهُش:

هش الرجل إلى الرجل يهش (بفتح الهاء): إذا خف وأظهر السرور بوروده. وهش الشيء ويهش (بكسر الهاء): إذا خار وضعف.

وهش الورق لغنمه يهشها (بضم الهاء) إذا نثرها، قال الله تعالى: ﴿وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي﴾[١].

٢ - يضرَب ويضرِب ويضرُب:

أما يضرب (بفتح الراء) فإنه مضارع ضرب النبات (بكسر الراء): إذا أضر به البرد وأصابه الضريب؛ وهو الثلج.

وأما يضرب (بكسر الراء) فإنه مضارع ضرب في الأرض: إذا سافر، وضرب بالسيف والسوط ونحوهما، وضرب العرق إذا نبض، وضرب الفحل الناقة.

وأما يضرب المضموم الراء فمضارع ضربت الرجل: إذا غلبته في المضاربة. يقال: ضاربني فضربته أضربه.

٣ - يَحَل ويَحِل ويَحُل:

أما المفتوح الحاء، فهو مضارع حل الفرس يحل حَلَلا؛ وهو رخاوة في عرقوبيه. وأما مكسور الحاء، فهو مضارع حل الشيء يَحِل حِلا، ضد حرم. وحل من إحرامه يَحِل. وحل الشيء يَحِل: إذا وجب؛ كقوله تعالى: ﴿أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾[٢]. وحل يحل: ضد عقد. وأما مضموم الحاء، فهو مضارع حل بالمكان يَحُل: إذا نزل.

وقد ورد تغيير الحركة التي يتغير بتغيرها المعنى في القراءات القرآنية من ذلك:

---

(١) طه ١٨ .

(٢) طه ٨٦ .

(١) قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[١]. " الكره (بضم الكاف وفتحها) والكراهية، والكراهة مصادر لكره قاله الزجاج بمعنى أبغض، وقيل: الكره (بالضم) ما كرهه الإنسان، والكره (بالفتح) ما أكره عليه، وقيل: الكره (بالضم) اسم مفعول؛ كالخَبْر والنُّقْض، بمعنى: المخبور والمنقوض. والكره (بالفتح) المصدر"[٢]. وقد قرأ بضم الكاف السبعة، وقرأ السلمى بفتح الكاف[٣].

(٢) وقوله تعالى: ﴿... إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾[٤]. " قرأ الحرميان وأبو عمرو غرفة (بفتح الغين)، وقرأ الباقون بضمها، فقيل: هما بمعنى المصدر،وقيل: هما بمعنى المغروف، وقيل: الغرفة (بالفتح) المرة، (وبالضم) ما تحمله اليد"[٥].

(٣) وقوله جل وعلا: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾[٦]. " قرأ ابن هرمز وجماعة (جَهدهم) بالفتح. فقيل: هما لغتان بمعنى واحد، وقال القتبى بالضم الطاقة، وبالفتح المشقة. وقال الشعبى: بالضم القوت، وبالفتح فى العمل، وقيل: بالضم شىء قليل يعاش به "[٧].

(٤) وقوله سبحانه: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ...﴾[٨]. "قرأ الجمهور (من وُجدكم) بضم الواو، والحسن والأعرج وابن أبى عبلة وأبو حيوة بفتحها، والفياض بن غزوان وعمرو ابن ميمون ويعقوب بكسرها وذكرها

---

(١) البقرة ٢١٦.

(٢) البحر المحيط ١٣٤/٢ .

(٣) انظر: البحر المحيط ١٤٣/٢ .

(٤) البقرة ٢٤٩.

(٥) البحر المحيط٢٦٥/٢، وانظر: الحجة فى القراءات السبع لابن خالويه٤٥، وحجة القراءات لابن زنجلة١٤٠.

(٦) التوبة ٧٩.

(٧) البحر المحيط ٧٥/٥، ٧٦ .

(٨) الطلاق٦.

المهدوى عن الأعرج، وهى لغات ثلاث بمعنى الوسع، والوجد (بالفتح) يستعمل فى الحزن والغضب والحب، ويقال: وجدت فى المال ووجدت على الرجل وجدا وموجدة، ووجدت الضالة وجدانا، والوجد (بالضم) الغنى والقدرة، يقال: افتقر الرجل بعد وجد"[١].

وتؤدى الحركة الإعرابية دلالة صوتية، يتغير بتغيرها المعنى يقول ابن يعيش " ألا ترى أن الرجل إذا أقر فقال: لفلان عندى مائة غيرُ درهم برفع (غير) يكون مقرا بالمائة كاملة؛ لأن (غير) هنا صفة للمائة، وصفتها لا تنقص شيئا منها. وكذلك لو قال له: على مائة إلا درهم؛ كان مقرا بالمائة كاملة لأن (إلا) تكون وصفا كغير ... ولو قال: له عندى مائة غيرَ درهم أو إلا درهما لكان مقرا بتسعة وتسعين؛ لأنه استثناء" [٢].

ومن الأمثلة على الحركة الإعرابية التى يتغير بتغيرها المعنى قوله تعالى: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ [٣].

قوله (ورسولُه) قرأها الجمهور بالرفع عطفا على الضمير المستكن فى برىء أو على محل إن واسمها فى قراءة من كسر إن، وإن شئت على الابتداء والخبر محذوف. وفى الشواذ (ورسوله) بالخفض على القسم؛ أى: وحق رسوله[٤].

المعنى اختلف تبعا لتغير الحركة الإعرابية، ففى قراءة الجمهور بالرفع، المعنى: أن الله ورسوله بريئان من المشركين، وفى قراءة الجر على إعرابها معطوفة على المشركين (وهذا أبعد من إعرابها مخفوضة على القسم) يكون المعنى: أن الله برئ من المشركين، ومن الرسول، وهذا المعنى هو الذى فهمه

---

(١) البحر المحيط ٢٨٥/٨ .

(٢) شرح المفصل لابن يعيش ١١/١ .

(٣) التوبة ٣

(٤) انظر: إتحاف فضلاء البشر ٢٤٠، وتفسير القرطبى ٢٩٠٩/٥، ٢٩١٠ والكشاف ١٧٣/٢، ١٧٤ .

الأعرابى حال إقرائها له بالجر، وكانت هذه الواقعة سببا فى وضع النحو[١].

ومن مظاهر الدلالة الصوتية (النبر)[٢]؛ " فقد تتغير الدلالة باختلاف موقعه من الكلمة؛ فبعض الكلمات الإنجليزية تستعمل اسما إذا كان النبر على المقطع الأول منها، فإذا انتقل النبر ووقع على مقطع آخر من الكلمة أصبحت فعلا، وتستعمل حينئذ استعمال الأفعال " [٣]؛ **وذلك مثل:**

موضع النبر	اسم	موضع النبر	فعل
المقطع الأول	contract	المقطع الثانى	contract
المقطع الأول	contrast	المقطع الثانى	contrast

" أما اللغة العربية فلا تفرق بالنبر بين الأسماء والأفعال؛ أى أنها لا تعطى النبر معنى وظيفيا فى الصيغة أو فى الكلمة، ولكنها تمنحه معنى وظيفيا فى الكلام؛ أى فى معنى الجملة. ويتضح ذلك إذا قارنا فى النطق بين جملتى اذكر الله واذكرى الله.

فالمعروف أن هذا الموقع من المواقع التى تفقد فيها الياء كميتها، فتصبح بمقدار الكسرة فى الكلام مثلها فى ذلك مثل الياء فى عبارة (القاضى الفاضل) ... ومن هنا تصبح أحوال الأصوات فى الجملتين واحدة، وتصبح فرصة اللبس سانحة هنا، فلا يعرف السامع ما إذا كان المتكلم يخاطب رجلا أو امرأة.

" هنا يتدخل النبر فيفرق بين الإسنادين، فيكون النبر فى الجملة الأولى على مقطع همزة الوصل، ويكون فى الجملة الثانية على مقطع الكاف؛ ليدل على طول الياء؛ لأن النبر يقع على ما قبل الآخر إذا كان المقطع الأخير متوسطا (رى) وما قبل الآخر قصيرا (ك) ... فيكون النبر هنا ذا وظيفة تشبه وظيفة حركة الدليل

---

(١) انظر: الكشاف ١٧٤/٢، والبحر المحيط ٦/٥ .

(٢) النبر (Stress – accent) هو وضوح سمعى يميز مقطعا من المقاطع الأخرى فى الكلام. من وظائف الصوت اللغوى ٥٤، وانظر: دروس فى علم أصوات العربية لجان كانتينو ص ١٨٨ وأسس علم اللغة لماريوباى ٩٣ ومناهج البحث فى اللغة لتمام حسان ١٦٠.

(٣) دلالة الألفاظ ٤٦ .

على المحذوف فى نحو: (تسعون)؛ حيث تدل الفتحة على ألف (سعى) المحذوفة"[١].

ومن الأمثلة التى يذكرها الدكتور إبراهيم أنيس مبينا بها دلالة النبر المثال الآتى: هل يعقل أن تنضخ العين فى وسط الصحراء فى ثوان؟ يقول شارحا له: "فيمكن أن يزيد الضغط أو النبر على (وسط الصحراء) فيصبح موضع الغرابة أن تنبثق بئر النفط فى وسط الصحراء، وأن هذا غير مألوف فى مهنة التنقيب عنه، وأن سواحل البحار مثلا هى المكان الطبيعى لمثل هذه الآبار. أما إذا زاد المتكلم الضغط أو النبر على (فى ثوان) كان محل الغرابة أن تتم مثل هذه العملية المعقدة فى مثل هذا الزمن القصير" [٢].

ومن مظاهر الدلالة الصوتية التنغيم[٣] Intonation، الذى يلعب دورا مهما فى اللغات المختلفة؛ ففى الفرنسية مثلا " عبارة (Il vient) عندما تكون تقريرية بمعنى (هو يأتى) تنطق على نغمة هابطة، أو لحن هابط، فإن كانت سؤالا (Il vient ?) بمعنى (هل يأتى ؟) نطقت على نغمة صاعدة " [٤] ويذكر فندريس أن " أصحاب اللغة الفهلية (فى أفريقيا الغربية الفرنسية) إذا نطقوا (miwarata) بنغمة على الفتحة الأخيرة تماثل النغمة التى لباقى الجملة كان معناها سأقتل، أو أقتل فى الحاضر الدال على العادة. أما إذا نطقت الفتحة الأخيرة بنغمة أعلى صار معنى الجملة (لن أقتل) " [٥].

---

(١) اللغة العربية معناها ومبناها ٣٠٨ .

(٢) دلالة الألفاظ ٤٦، ٤٧ .

(٣) التنغيم عرفه ماريوباى (أسس علم اللغة ٩٣) بأنه " عبارة عن تتابع النغمات الموسيقية أو الإيقاعات فى حدث كلامى معين " وعرفه الدكتور محمود السعران (علم اللغة مقدمة للقارئ العربى١٩٢) بأنه المصطلح الصوتى الدال على الارتفاع (= الصعود) والانخفاض (= والهبوط) فى درجة الجهر فى الكلام وانظر: مناهج البحث فى اللغة ١٦٤ .

(٤) علم اللغة مقدمة للقارئ العربى ١٩٣ .

(٥) اللغة ١٠٩، ١١٠ .

ومن الأمثلة على التنغيم ما يأتى:

١ – عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **(إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائذ من القطيعة؟ قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى: قال: فذاك لك)** رواه مسلم حديث رقم (٢٥٥٤) باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها.

قوله: (هذا مقام العائذ من القطيعة؟) جملة استفهامية، قام التنغيم فيها مقام الأداة " والحكم بأنها استفهامية إنما يرجع فى حقيقة الأمر إلى تنغيم النطق بصورة توائم الأنماط التنغيمية للجمل الاستفهامية من هذا النوع "[1].

٢– عن عبد الله بن الحارث بن نوفل قال: **(كنت واقفا مع أبى بن كعب فقال: لا يزال الناس مختلفة أعناقهم فى طلب الدنيا؟ قلت أجل)**. رواه مسلم، حديث رقم (٢٨٩٥)، كتاب الفتن وأشراط الساعة.

قوله: (لا يزال الناس مختلفة أعناقهم فى طلب الدنيا؟) جملة استفهامية محذوفة الأداة قام التنغيم مقامها.

هذا، وقد أدرك علماؤنا القدامى الدور الذى يقوم به التنغيم فى خدمة المعنى يقول ابن جنى: " وقد حذفت الصفة ودلت الحال عليها؛ وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب من قولهم: سير عليه ليل، وهم يريدون: ليل طويل، وكأن هذا إنما حذفت فيه الصفة لما دل من الحال على موضعها.

وذلك أنك تحس فى كلام القائل لذلك من التطويع والتطريح والتفخيم والتعظيم ما يقوم مقام قوله: طويل أو نحو ذلك. وأنت تحس هذا من نفسك إذا تأملته. وذلك أن تكون فى مدح إنسان والثناء عليه، فتقول: كان والله رجلا ! فتزيد فى قوة اللفظ بالله هذه الكلمة، وتتمكن فى تمطيط اللام، وإطاله الصوت بها وعليها؛ أى رجلا فاضلا أو شجاعا أو كريما أو نحو ذلك. وكذلك تقول: سألناه فوجدناه إنسانا! وتمكن الصوت بإنسان وتفخمه فتستغنى بذلك عن وصفه بقولك: إنسانا

---

(١) علم اللغة العام، الأصوات ١٨٩ .

سمحا أو جوادا أو نحو ذلك. وكذلك إن ذممته ووصفته بالضيق قلت: سألناه؛ وكان إنسانا! وتزوى وجهك وتقطبه، فيغنى ذلك عن قولك: إنسانا لئيما ... فعلى هذا وما يجرى مجراه تحذف الصفة. فأما إن عريت من الدلالة عليها من اللفظ أو من الحال فإن حذفها لا يجوز" [1].

(٣) الدلالة الصرفية:

" تلعب طرائق البنية، واشتقاق الصيغ اللغوية دورا كبيرا فى الدلالة على المعنى، فصيغ الأفعال بأنواعها: الماضى والمضارع والأمر تدل على الحدث وزمنه، وما يتصل بهذه الأفعال من حروف الزيادة، والتوكيد، واللواحق الأخرى وما يدخلها من التضعيف وغيره، كل ذلك له أثر فى توجيه المعنى" [2].

ومن الأمثلة على ذلك:

١ – زيادة الهمزة على (فعل) فتصير (أفعل)، الهمزة التى هى وحدة صرفية جعلت المعنى يختلف، وتصير (أفعل) بزيادة الهمزة تدل على عدة معان، أوصلها أبو حيان[3] إلى أربعة وعشرين معنى، بيد أن أشهر هذه المعانى **ما يأتى**[4]:

أ – **التعدية:** وهى تصيير الفاعل بالهمزة مفعولا؛ فإذا كان أصل الفعل لازما صار متعديا لواحد، وإذا كان متعديا لواحد صار متعديا لاثنين، وإذا كان متعديا لاثنين صار متعديا إلى ثلاثة؛ مثل: أجلست عليا، وأفهمت بكرا المسألة، وأعلمت محمدا بكرا مطيعا.

ب– **صيرورة شىء ذا شىء؛** كألبن الرجل، وأتمر وأفلس؛ أى صار ذا لبن وتمر وفلوس.

---

(١) الخصائص ٢/٢٧٠، ٢٧١ .

(٢) علم اللغة بين القديم والحديث ١٩٩، ٢٠٠ .

(٣) انظر: البحر المحيط ١/٢٦ .

(٤) انظر: شذا العرف فى فن الصرف ٤١، ٤٢، ودروس التصريف لمحمد محيى الدين عبد الحميد ٧١ – ٧٣ والمثال فى تصريف الأفعال للدكتور على أحمد طلب ٧٩، ٨٠، والنحو الوافى ٢/١٦٧ .

جـ–**التعريض:** وهو أن تقصد الدلالة على أنك عرضت المفعول لأصل معنى الفعل؛ نحو: أبعت الثوب، وأرهنت الدار؛ أى: عرضته للبيع، وعرضته للرهن.

د – **مصادفة الشيء على صفة**؛ ومعنى ذلك أن يجد الفاعل المفعول موصوفا بصفة مشتقة من أصل ذلك الفعل؛ من ذلك قول عمرو بن معد يكرب لبنى الحارث بن كعب: والله لقد سألناكم فما أبخلناكم، وقاتلناكم فما أجبناكم، وهاجيناكم فما أفحمناكم؛ أى: ما وجدناكم بخلاء ولا جبناء، ولا مفحمين.

هـ–**السلب والإزالة:** ومعناه أن يزيل الفاعل عن المفعول أصل الفعل؛ نحو: أشكيته، وأقذيت عينه، وأعجمت الكتاب؛ أى أزلت شكواه، وقذى عينه، وعجمة الكتاب بالنقط ونحوه.

و– **الدخول فى الشيء زمانا أو مكانا**؛ نحو: أشأم وأعرق وأصبح وأمسى؛ أى: دخل فى الشام، والعراق، والصباح، والمساء.

ز– **الكثرة**؛ نحو: أضب المكان؛ أى: كثر ضبابه، وأعال الرجل؛ أى كثر عياله.

ح– **الاستحقاق**؛ نحو: أحصد الزرع؛ أى: استحق الحصاد.

ط– **التمكين**؛ نحو: أحفرته البئر؛ أى: مكنته من حفره.

ى– **أن يكون مطاوعا لفعّل** (بتشديد العين)؛ نحو: فطرته فأفطر.

ك– **أن يكون بمعنى استفعل**؛ نحو: أعظمته؛ أى: استعظمته.

ل– **البلوغ**؛ نحو: أومأت الدراهم؛ أى: بلغت المائة، وأنجد فلان؛ أى: بلغ نجدا.

م– **الدلالة على مكان الإصابة**؛ نحو: رمى فأشوى؛ أى: أصاب الشوى، وهى الأطراف.

ن- **وقد يجيء (أفعل) بمعنى (فعل) فيكونان بمعنى واحد**؛ نحو: سرى وأسرى.

(٢) ومن الأمثلة كذلك قيام التنوين بالتفريق فى الكلمة الواحدة بين تنكيرها وتعريفها؛ فاسم الفعل (صه) مثلا إذا لم ينون كان معرفة، وإذا نون (صه) صار نكرة، وكذلك الأسماء المختومة بـ (ويه) مثل: سيبويه، وخمارويه، وخالويه.

(٣) يقوم التنوين كذلك بتحديد زمن اسم الفاعل أماض هو أم مستقبل؟ ومن الأدلة على ذلك ما يذكره الكسائى يقول: " اجتمعت وأبويوسف عندها الرشيد فجعل أبو يوسف يذم النحو، ويقول: ما النحو؟ فقلت – وأردت أن أعلمه فضل النحو – ما تقول فى رجل قال لرجل: أنا قاتل غلامك، وقال آخر: أنا قاتل غلامك، أيهما كنت تأخذ به ؟ قال: آخذهما جميعا – فقال له هارون: أخطأت، وكان له علم بالعربية، فاستحى وقال: كيف ذلك ؟ فقال: الذى يؤخذ بقتل الغلام هو الذى قال: أنا قاتل غلامك (بالإضافة) لأنه فعل ماض. فأما الذى قال: أنا قاتل غلامك بلا إضافة، فإنه لا يؤخذ؛ لأنه مستقبل لم يكن بعد، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾[١]"[٢].

هذا، وقد فطن علماء اللغة القدماء إلى أن الكلمات تستمد دلالتها فى نظام اللغة على المستوى الصرفى من خلال: توزيع الصوائت داخل بنية الكلمة، وزيادة الصوامت فى أول الكلمة أو وسطها أو آخرها[٣].

ومن هؤلاء العلماء ابن فارس (المتوفى ٣٩٥هـ) يقول فى باب زيادات الأسماء: "ومن سنن العرب الزيادة فى حروف الاسم، ويكون ذلك إما للمبالغة،

---

(١) سورة الكهف ٢٣، ٢٤ .

(٢) الأشباه والنظائر للسيوطى ٣/٣١٥ .

(٣) انظر: الدلالة الصوتية للدكتور كريم زكى حسام الدين ١٨٤ .

وإما للتشويه والتقبيح ٠٠ يقولون للبعيد ما بين الطرفين المفرط الطول: (طِرِمّاح)، وإنما أصله من (الطرَح)؛ وهو البعد، لكنه لما أفرط طوله سمى طرماحا، فشوه الاسم لما شوهت الصورة. وهذا كلام غير بعيد. ويجيء في قياسه قولهم: (رَعْشَن) للذى يرتعش، و(خَلْبَن)[١] و(زُرْقُم) للشديد الزرق، و(صِلْدِم) للناقة الصلبة، والأصل: صَلْد، و (شَدْقَم) للواسع الشدق" [٢].

ويقول في باب معانى أبنية الأفعال: " فعلت: يكون بمعنى التكثير، نحو: غلقت الأبواب،و بمعنى (أفعلت) نحو: خبرت، وأخبرت.

... و(فاعل) يكون من اثنين؛ نحو: ضارب.

... و(تفاعل) يكون من اثنين؛ نحو: تخاصما، وتجادلا.

... و(تفعل) يكون لتكلف الشيء؛ وليس به؛ نحو: تشجع، وتعقل.

... وأما (استفعل) فيكون بمعنى التكلف؛ نحو: تعظم واستعظم، وتكبر واستكبر.

ويكون (استفعل) بمعنى الاستدعاء والطلب؛ نحو: استوهب.

... وأما (افتعل) فيكون بمعنى فعل؛ نحو: شوى واشتوى.

... وأما (انفعل) فهو فعل المطاوعة؛ نحو: كسرته فانكسر.

وشويت اللحم فانشوى " [٣]. ويقول في باب الأبنية الدالة في الأغلب الأكثر على معان وقد تختلف " يقولون: ما كان على (فعلان) دل على الحركة والاضطراب؛ نحو: النزوان، والغليان.

و(فعلان) يجيء في صفات تقع من جوع، وعطش، نحو: عطشان، وغرثان[٤] أو ما يضاد ذلك؛ نحو: ريان وسكران.

---

(١) امرأة خلبن، أى خرقاء، وليس من الخلابة .

(٢) الصاحبى فى فقه اللغة ١٢٢ .

(٣) الصاحبى ٣٦٩ – ٣٧١ .

(٤) غرثان: جوعان . لسان العرب [غرث] ٣٢٣١/٥ .

و(فَعِل) يكون فى الوجع؛ نحو: وجع، وحبط، أو ما أشبهه من فزع.

ويجىء من هذا (فعيل)، نحو: سقيم.

ويكون من الباب (بطر، وفرح) وهذا على مضادة وجع وسقم.

قالوا: والصفات بالألوان تأتى على (أفعل) نحو: أحمر وأسود.

والأفعال منها على (فعُل) مثل: (صهُب)، وعلى(فعِل) نحو: صدِئ وعلى (افعالّ) مثل: احمار.

وكذلك العيوب والأدواء تكون على (أفعل) نحو: أزرق، وأعور، وأفعالها على (فعِل) نحو: عوِر وشتِر[1].

وتكون الأدواء على (فُعال) نحو: القُلاب[2] والخُمار.

والأصوات أكثرها على هذا؛ نحو: الدعاء والصراخ، وللأصوات باب آخر على (فعيل) نحو: الهدير والضجيج.

و(فُعالة) يأتى أكثره على ما يفضل عن الشىء ويسقط منه؛ نحو: النحاتة.

و(فِعالة) فى الصناعات؛ كالتجارة والنجارة.

ويكون (الفِعال) فى الأشياء كالعيوب: كالنفار والشماس[3] وفى السمات نحو: العلاط[4] والخباط[5]. وفى بلوغ الأشياء نهايتها؛ نحو: الصرام[6] والجزاز[7].

---

(١) شتر: انقلاب فى جفن العين قلما يكون خلقة. لسان العرب [شتر] ٢١٩٣/٤.

(٢) القلاب: داء يأخذ البعير فيشتكى منه قلبه فيموت من يومه . لسان العرب [قلب] ٣٧١٤/٥ .

(٣) شمست الدابة والفرس تشمس شماسا وشموسا وهى شموس: شردت وجمحت ومنعت ظهرها . لسان العرب [شمس] ٢٣٢٤/٤ .

(٤) العلاط: سمة فى عرض عنق البعير والناقة . لسان العرب [علط] ٣٠٦٩/٤.

(٥) الخباط (بالكسر): سمة تكون فى الفخذ طويلة عرضا، وهى لبنى سعد، وقيل: هى التى تكون على الوجه حكاه سيبويه، وقال ابن الأعرابي: هى فوق الخد والجمع خبط . لسان العرب [خبط] ١٠٩٥/٢ .

(٦) الصرام: قطع الثمرة واجتناؤها من النخلة، يقال: هذا وقت الصرام والجداد. لسان العرب [صرم] ٢٤٣٨/٤.

(٧) الجزاز: جز النخلة يجزها جزا وجزازا وجزازا: صرمها . لسان العرب [جزز] ٦١٦/١.

وتكون الصفات اللازمة للنفوس على (فعيل) نحو: شريف وخفيف، وعلى أضدادها، نحو: وضيع وكبير وصغير"[1].

ومن العلماء أيضا ابن جنى (المتوفى ٣٩٢هـ) يقول فى باب إمساس الألفاظ أشباه المعانى: " اعلم أن هذا موضع شريف لطيف. وقد نبه عليه الخليل وسيبويه، وتلقته الجماعة بالقبول له، والاعتراف بصحته.

قال الخليل: كأنهم توهموا فى صوت الجندب استطالة ومدا فقالوا: صر، وتوهموا فى صوت البازى تقطيعا فقالوا: صرصر.

وقال سيبويه فى المصادر التى جاءت على الفعلان: إنها تأتى للاضطراب والحركة؛ نحو النقزان[2]، والغليان، والغثيان. فقابلوا بتوالى حركات المثال توالى حركات الأفعال.

ووجدت أنا من هذا الحديث أشياء كثيرة على سمت ما حداه ومنهاج ما مثلاه، وذلك أنك تجد المصادر الرباعية المضعفة تأتى للتكرير؛ نحو: الزعزعة، والقلقلة، والصلصلة، والقعقعة، والصعصعة، والجرجرة، والقرقرة.

ووجدت أيضا (الفَعَلى) فى المصادر والصفات إنما تأتى للسرعة؛ نحو: البشكى، والجمزى، والولقى ... فجعلوا المثال المكرر للمعنى المكرر – أعنى باب القلقلة – والمثال الذى توالت حركاته للأفعال التى توالت الحركات فيها.

ومن ذلك ... أنهم جعلوا (استفعل) فى أكثر الأمر للطلب؛ نحو: استسقى، واستطعم، واستوهب، واستمنح، واستقدم عمرا، واستصرخ جعفرا. فرتبت فى هذا الباب الحروف على ترتيب الأفعال... وذلك نحو: استفعل؛ فجاءت الهمزة والسين والتاء زوائد، ثم وردت بعدها الأصول: الفاء، والعين، واللام. فهذا من اللفظ وفق المعنى الموجود هناك. وذلك أن الطلب للفعل والتماسه والسعى فيه، والتأتى لوقوعه تقدمه، ثم وقعت الإجابة إليه، فتبع الفعل السؤال فيه والتسبب

---

(١) الصاحبى ٣٧٤، ٣٧٥ .

(٢) يقال: نقز الظبى؛ وثب صعدا .

لوقوعه. فكما تبعت أفعال الإجابة أفعال الطلب، كذلك تبعت حروف الأصل الحروف الزائدة التى وضعت للالتماس والمسألة؛ وذلك نحو: استخرج واستقدم، واستوهب، واستمنح، واستعطى، واستدنى، فهذا على سمت الصنعة التى تقدمت فى رأى الخليل وسيبويه ...

ومن ذلك أنهم جعلوا تكرير العين فى المثال دليلا على تكرير الفعل، فقالوا: كسّر، وقطّع، وفتّح، وغلّق. وذلك أنهم لما جعلوا الألفاظ دليلة المعانى، فأقوى اللفظ ينبغى أن يقابل به قوة الفعل، والعين أقوى من الفاء واللام؛ وذلك لأنها واسطة لهما، ومكنوفة بهما؛ فصارا كأنهما سياج لها، ومبذولان للعوارض دونها ... فلما كانت الأفعال دليلة المعانى كرروا أقواها، وجعلوه دليلا على قوة المعنى المحدث به، وهو تكرير الفعل؛ كما جعلوا تقطيعه فى نحو: صرصر، وحقق دليلا على تقطيعه. ولم يكونوا ليضعفوا الفاء ولا اللام؛ لكراهية التضعيف فى أول الكلمة، والإشفاق على الحرف المضعف أن يجىء فى آخرها، وهو مكان الحذف وموضع الإعلال، وهم قد أرادوا تحصين الحرف الدال على قوة الفعل. فهذا أيضا من مساوقة الصيغة للمعانى.

وقد أتبعوا اللام فى باب المبالغة العين؛ وذلك إذا كررت العين معها فى نحو: دمكمك[١] وصمصمح[٢] وعركرك[٣] وعصبصب[٤] وغشمشم[٥]؛ والموضع فى ذلك للعين، وإنما ضامتها اللام هنا تبعا لها ولاحقة بها؛ ألا ترى إلى ما جاء عنهم للمبالغة من نحو: اخلولق، واعشوشب ... "[٦].

---

(١) الدمكمك من الرجال: الشديد المجتمع الألواح .لسان العرب ٢٤٩٤/٤.

(٢) الصمحمح من الرجال: الشديد المجتمع الألواح . لسان العرب [صمح] ٢٤٩٤/٤.

(٣) العركرك: الجمل القوى الغليظ . لسان العرب [عرك] ٢٩١٢/٤.

(٤) عصبصب: شديد، وقيل: هو الشديد الحر . لسان العرب [عصب] ٢٩٦٦/٤ .

(٥) الغشمشم: الجرىء الماضى، وقيل: الغشمشم والمغشم من الرجال: الذى يركب رأسه لا يثنيه شىء عما يريد ويهوى من شجاعته . لسان العرب [غشم] ٣٢٦٠/٥.

(٦) الخصائص ١٥٢/٢ – ١٥٦ .

ويؤكد ابن جنى على أهمية الدلالة الصرفية، وعلاقة الصيغة بالمعنى فيقول فى باب قوة اللفظ لقوة المعنى: "هذا فصل من العربية حسن منه قولهم: خشن واخشوشن، فمعنى خشن دون معنى اخشوشن؛ لما فيه من تكرير العين وزيادة الواو، ومنه قول عمر ﷺ: اخشوشنوا وتمعددوا؛ أى:اصلبوا وتناهوا فى الخُشنة[1]. وكذلك قولهم: أعشب المكان، فإذا أرادوا كثرة العشب فيه قالوا: اعشوشب، ومثله: حلا واحلولى، وخلُق[2] واخلولق، وغدن[3] واغدودن.

ومثله باب فعل وافتعل؛ نحو: قدر واقتدر. فاقتدر أقوى معنى من قولهم: قدر ... قال الله سبحانه: ﴿أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾[4]، فمقتدر هنا أوفق من قادر؛ من حيث كان الموضع لتفخيم الأمر وشدة الأخذ.

وعليه – عندى – قول الله عز وجل: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾[5]، وتأويل ذلك أن كسب الحسنة بالإضافة إلى اكتساب السيئة أمر يسير ومستصغر؛ وذلك لقوله (عز اسمه): ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا﴾[6]؛ أفلا ترى أن الحسنة تصغر بإضافتها إلى جزائها صغر الواحد إلى العشرة، ولما كان جزاء السيئة إنما هو بمثلها، لم تحتقر إلى الجزاء عنها، فعلم بذلك قوة فعل السيئة على فعل الحسنة؛ ولذلك قال (تبارك وتعالى): ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾[7] فإذا كان فعل السيئة ذاهبا بصاحبه إلى هذه الغاية البعيدة المترامية عظم قدرها وفخم لفظ العبارة عنها،

---

(١) الخشنة مصدر خشن؛ كالخشونة .

(٢) خلق: كان خليقا وجديرا ويقال: اخلولق السحاب: استوى وصار خليقا للمطر.

(٣) الغدن: اللين.

(٤) القمر ٤٢ .

(٥) البقرة ٢٨٦ .

(٦) الأنعام ١٦٠ .

(٧) مريم ٩٠، ٩١ .

فقيل: لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت. فزيد فى لفظ فعل السيئة، وانتقص من لفظ فعل الحسنة ...

ومن ذلك أيضا قولهم: رجل جميل، ووضيء؛ فإذا أرادوا المبالغة فى ذلك قالوا: وُضّاء، وجُمّال، فزادوا فى اللفظ هذه الزيادة لزيادة معناه؛ قال [الكامل]:

والمرء يلحقه بفتيان الندى خلق الكريم وليس بالوُضّاء

... وكأن أصل هذا إنما هو لتضعيف العين فى نحو المثال؛ نحو: قطع وكسر وبابهما ... فأما قولهم: خُطّاف وإن كان اسما فإنه لاحق بالصيغة فى إفادة معنى الكثرة؛ ألا تراه موضوعا لكثرة الاختطاف به. وكذلك سِكين، إنما هو موضوع لكثرة تسكين الذابح به. وكذلك البزّار والعطّار والقصّار، ونحو ذلك إنما هو لكثرة تعاطى هذه الأشياء، وإن لم تكن مأخوذة من الفعل ...

ونحو من تكثير اللفظ لتكثير المعنى العدول عن معتاد حاله؛ وذلك فُعال فى معنى فعيل؛ نحو: طُوال؛ فهو أبلغ معنى من طويل، وعُراض فإنه أبلغ معنى من عريض، وكذلك خُفاف من خفيف، وقُلال من قليل، وسُراع من سريع ففُعال – لعمرى – وإن كانت أخت فعيل فى باب الصفة، فإن فعيلا أخص بالباب من فُعال؛ ألا تراه أشد انقيادا منه؛ تقول: جميل ولا تقول: جُمال، وبطيء، ولا تقول: بُطاء، وشديد ولا تقول: شُداد ... فلما كانت فعيل هى الباب المطرد، وأريدت المبالغة عدلت إلى فعال فضارعت فُعَال بذلك فُعّالا، والمعنى الجامع بينهما خروج كل واحد منهما عن أصله. أما فُعّال فبالزيادة، وأما فُعَال فبالانحراف به عن فعيل"[1].

(٣) الدلالة النحوية:

" هى الدلالة التى تستمد من العلاقات النحوية بين الكلمات التى تتخذ كل منها موقعا فى الجملة حسب قوانين اللغة " [2]؛ حيث إن الجملة العربية تحتم ترتيبا

---

(١) الخصائص ٣/٢٦٤ – ٢٦٨ .

(٢) علم الدلالة فى الكتب العربية د . أحمد عبد الرحمن حماد ٦١.

خاصا لو اختل لأصبح من العسير فهم هذا المعنى، انظر إلى قول الفرزدق يمدح إبراهيم بن هشام المخزومى خال هشام بن عبد الملك [الطويل]:

وما مثله فى النـــــاس إلا مملكا أبو أمه حـــــى أبوه يقاربه

لقد قدم الفرزدق فى البيت وأخر؛ مما أدى إلى غمـــوض المعنـــى، وأصـــل التركيب: وما مثله (أى مثل الممدوح) حى يقاربه فى الناس إلا مملكا (أى ملكا) أبو أمه أبوه، يقصد أنه لا يشبه الممدوح إلا ابن أخته الخليفة هـــشام بـــن عبـــد الملك.

والإعراب له دور كبير فى اختلاف المعنى، والأمثلة الآتية **توضح ذلك:**

أ – ما أحسنَ محمدا ! بفتح نون أحسن، ونصب (محمدا).

ب– ما أحسنُ محمدٍ ؟ بضم نون أحسن وإضافته إلى محمد.

جـــ– ما أحسنَ محمدٌ. بفتح نون أحسن، وجعل محمد فاعلا.

الجملة الأولى تعجبية، والثانية استفهامية والثالثة منفية.

يقول ابن جنى عن الإعراب: " هو الإبانة عن المعانى بالألفاظ؛ ألا ترى أنك إذا سمعت: أكرم سعيد أباه، وشكر سعيدا أبوه، علمت برفـــع أحـــدهما ونـــصب الآخر الفاعل من المفعول، ولو كان الكلام شرجا[1] واحدا لاستبهم أحدهما مـــن صاحبه"[2].

والإعراب له تأثيره على توضيح نوع الوقف فى القرآن الكريم؛ من ذلك[3]: قوله تعالى: ﴿... إِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ. إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا ...﴾[4].

---

(١) أى نوعا .

(٢) الخصائص ٣٥/١.

(٣) اقرأ تفصيل ذلك فى رسالتنا للماجستير (سورة التوبة دراسة صوتية وصرفية ونحوية) بمكتبة كليتـــى الآداب بسوهاج وقنا .

(٤) التوبة ٣، ٤.

يقول الشيخ الأنصارى: " بعذاب أليم: ليس بوقف للاستثناء بعده" [١] وهذا جائز إذا قدر الاستثناء متصلا؛ لأن المعنى يكون حينئذ: " أن الله برىء من المشركين إلا من المعاهدين فى مدة عهدهم" [٢] أما إذا قدر الاستثناء منقطعا جاز الوقف على قوله (أليم)، والمعنى يكون حينئذ: " أن الله برىء منهم، ولكن الذين عاهدتم فثبتوا على العهد فأتموا إليهم عهدهم" [٣].

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيراً مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[٤].

الوقف على قوله تعالى: (عن سبيل الله) حسن أو تام. " وهذا إن جعل (والذين يكنزون) فى محل رفع بالابتداء، وخبره (فبشرهم) فإن جعل فى محل نصب عطفا على(كثيرا)، وكأنه قال: إن كثيرا منهم ليأكلون، والذين يكنزون يأكلون أيضا لم يكن الوقف حسنا ولا تاما " [٥].

ويرجح القرطبى أن يكون (والذين) كلاما مستأنفا يقول: " وقال أبو ذر وغيره: المراد بها أهل الكتاب وغيرهم من المسلمين، وهو الصحيح؛ لأنه لو أراد أهل الكتاب خاصة لقال: (ويكنزون) بغير (والذين) فلما قال: (والذين) فقد استأنف معنى آخر يبين أنه عطف جملة على جملة؛ فالذين يكنزون كلام مستأنف، وهو رفع على الابتداء " [٦] وبذلك يترجح كون الوقف على قوله: (عن سبيل الله) حسنا أو تاما.

---

(١) المقصد لتلخيص ما فى المرشد ٤١ .

(٢) تفسير القرطبى ٥/٢٩١٠ .

(٣) تفسير القرطبى ٥/٢٩١٠.

(٤) التوبة: ٣٤ .

(٥) المقصد لتلخيص ما فى المرشد ٤١ .

(٦) تفسير القرطبى ٥/٢٩٦٢ .

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ (١). الوقف على قوله تعالى: (مثلا) وقف لازم؛ ليفصل بين كلام الكفار، وكلام الله – عز وجل – وتكون جملة (يضل به كثيرا) جملة مستأنفة. ولو وصل الكلام لكانت صفة لـــ (مثلا)، ولأفادت أنه من كلام الكفار، وهو غير صحيح.

ومن الأمثلة أيضا قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾(٢). الوقف على قوله (رسل الله) وقف لازم؛ ليفصل **بين كلامين:** كلام الكافرين (كفار قريش) وكلام الله – عز وجل – وجملة (الله أعلم حيث يجعل رسالته) جملة مستأنفة، ولو وصل الكلام لكانت من تتمة قولهم؛ وهذا يؤدى إلى فساد المعنى، وهو الجمع بين ما يدل على الكفر، وما يدل على الإيمان.

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ (٣).

الوقف على قوله (الله) وقف لازم؛ ليمنع وهم أن الراسخين فى العلم يعلمون تأويله، وهو رأى الجمهور، وبذلك تكون الواو استئنافية، و(الراسخون) مبتدأ، خبره (يقولون...).

وإن وصل الكلام أعربت الواو عاطفة، و(الراسخون) معطوف على لفظ الجلالة، وجملة (يقولون) تعرب حالا منهم، وقد ذهب إلى هذا الرأى قلة من أهل العلم(٤).

---

(١) البقرة: ٢٦.

(٢) الأنعام:١٢٤.

(٣) آل عمران: ٧ .

(٤) انظر: الكشاف ١/ ٤١٣، والبحر المحيط ٣٨٤/٢.

(٤) الدلالة المعجمية أو الاجتماعية:

هى الدلالة التى وضعها الأسلاف للألفاظ المختلفة، وتكفلت ببيانها قواميس اللغة حسب ما ارتضته الجماعة واصطلحت عليه، وتستعمل فى الحياة اليومية بعد تعلمها بالتلقين والسماع والقراءة والاطلاع على آثار السابقين الأدبية شعرا ونثرا، ويتطلب هذا التعليم زمنا ليس بالقصير قبل أن يسيطر المرء على لغة أبويه. وقد جمع العرب تراثهم فيما يسمى بالمعاجم اللغوية فى إطار مرحلة لغوية معينة هى عصر قوة اللغة العربية.

بيد أن المعاجم تفسر الألفاظ دون ملاحظة ما اعتورها من تغير فى الفترة التى سبقت جمعها، فهى لا تشير إلى تطور المعانى والاستعمالات كما أنها لا تنسب المعانى فى كثير من الأحيان إلى الناطقين بها.

أما الدلالة الاجتماعية للكلمات فهى الهدف الأساسى فى كل كلام وليست العمليات العضوية التى نقوم بها فى النطق بالأصوات إلا وسائل يرجو المتكلم أن يصل عن طريقها إلى ما يهدف من فهم أو إفهام.

وقد اهتم المحدثون من اللغويين بتلك الدلالة، وجعلوا منها فرعا دراسيا مستقلا سموه: Semantics.

وقد فرق بعض اللغويين من المحدثين بين الدلالة المعجمية والدلالة الاجتماعية، لكن كثيرا منهم لا يفرق بينهما؛ لأن المعاجم قديمها وحديثها تتخذ من الدلالة الاجتماعية للكلمات هدفا أساسيا.

والحقيقة أن الدلالة الاجتماعية لا يمكن فهمها إلا من خلال سياق الحال الذى يشمل صفات المشتركين فى الكلام مما يكون له تأثير؛ كالنشاط اللغوى للمشتركين، والنشاط غير اللغوى للمشتركين (الصمت، والضحك والإشارة). والأشياء التى قد يكون لها تأثير، وأثر الكلام فى المخاطب، هل كانت استجابة بالكلام أو بغير الكلام؟[١].

---

(١) انظر: علم الدلالة فى الكتب العربية ٥٣ .

وقد أشار العالم اللغوى النحرير ابن جنى إلى سياق الحال فى كتابه الخصائص يقول: " والذى يدل على أنهم قد أحسوا ما أحسسنا، وأرادوا وقصدوا ما نسبنا إليهم إرادته وقصده شيئان: أحدهما حاضر معنا، والآخر غائب عنا إلا أنه مع أدنى تأمل فى حكم الحاضر معنا؛ فالغائب ما كانت الجماعة من علمائنا تشاهده من أحوال العرب ووجوهها، وتضطر إلى معرفته من أغراضها وقصودها: من استخفافها شيئا أو استثقاله، وتقبله أو إنكاره، والأنس به أو الاستيحاش منه، والرضا به أو التعجب من قائله، وغير ذلك من الأحوال الشاهدة بالقصود، بل الحالفة على ما فى النفوس" [1] ثم يوضح الأمر قائلا: " ألا ترى إلى قوله [الطويل]:

تقول – وصكت وجهها بيمينها– أبعلى هذا بالرحى المتقاعس![2]

فلو قال حاكيا عنها: أبعلى هذا بالرحى المتقاعس – من غير أن يذكر صك الوجه. لأعلمنا بذلك أنها كانت متعجبة منكرة، لكنه لما حكى الحال فقال: (وصكت وجهها) علم بذلك قوة إنكارها، وتعاظم الصورة لها. هذا مع أنك سامع لحكاية الحال، غير مشاهد لها، ولو شاهدتها لكنت بها أعرف، ولعظم الحال فى نفس تلك المرأة أبين، وقد قيل: (ليس المخبَر كالمعاين) ولو لم ينقل إلينا هذا الشاعر حال هذه المرأة بقوله: وصكت وجهها، لم نعرف به حقيقة تعاظم الأمر لها "[3]. لقد تحدث ابن جنى عن سياق الحال، **<u>وأشار إلى أمرين:</u>**

أولهما: الحدث الكلامى، وهو قولها (أبعلى هذا بالرحى المتقاعس!) أى أنها تستنكر هذا الأمر بقولها.

والآخر: الحدث غير الكلامى، وهو قول الشاعر: (وصكت وجهها بيمينها) ويشير ابن جنى إلى أثر الحدث الكلامى، وغير الكلامى بأن من سمع كلامها

---

(١) الخصائص ١/٢٤٥ .

(٢) المتقاعس: الذى يخرج صدره ويدخل ظهره، وذلك شكل من يطحن بالرحى .

(٣) الخصائص ١/٢٤٥، ٢٤٦ .

مباشرة؛ أى قولها: (أبعلى هذا بالرحى المتقاعس!) وشاهدوها تصك وجهها بيديها فى الوقت نفسه سيكون أشد تأثرا، وبحالها أكثر معرفة بفعل هذين الحدثين[١].

ثم يذكر ابن جنى أنه " ليست كل حكاية تروى لنا، ولا كل خبر ينقل إلينا يشفع به شرح الأحوال التابعة له المقترنة – كانت – به.

نعم، ولو نقلت إلينا لم نفد بسماعها ما كنا نفيده لو حضرناها" [٢].

والمعلوم أنه لا بد من وجوب الإحاطة بكل الأحداث وثيقة الصلة بالموقف، وبهذا أشار ابن جنى بقوله: " وكذلك قول الآخر[الرجز]:

قلنا لها قفى لنا قالت قاف

لو نقل إلينا هذا الشاعر شيئا آخر من جملة الحال فقال مع قوله: (قالت قاف): (وأمسكت بزمام بعيرها) أو (عاجته علينا) لكان أبين لما كانوا عليه، وأدل على أنها أرادت: وقفت، أو توقفت دون أن يظن أنها أرادت: قفى لنا! أى يقول لى: قفى لنا! متعجبة منه – وهو إذا شاهدها وقد وقفت علم أن قولها (قاف) إجابة له، لا رد لقوله، وتعجب منه فى قوله: قفى لنا" [٣].

ثم يزيد ابن جنى الأمر توضيحا، فيقول: " وبعد، فالحمالون ... والساسة[٤] والوقادون، ومن يليهم ويعتد منهم، يستوضحون من مشاهدة الأحوال ما لا يحصله أبو عمرو من شعر الفرزدق إذا أخبر به عنه، ولم يحضره ينشده. أولا تعلم أن الإنسان إذا عناه أمر فأراد أن يخاطب به صاحبه، وينعم تصويره له فى نفسه استعطفه ليقبل عليه؛ فيقول له: يا فلان، أين أنت ؟ أرنى وجهك أقبل على أحدثك، أما أنت حاضر ياهناه فإذا أقبل عليه، وأصغى إليه اندفع يحدثه أو يأمره

---

(١) انظر: علم الدلالة فى الكتب العربية ٥٤ .

(٢) الخصائص ٢٤٦/١ .

(٣) الخصائص ٢٤٦/١ .

(٤) يريد ساسة الدواب القائمين عليها، والخادمين لها .

أو ينهاه، أو نحو ذلك. فلو كان استماع الأذن مغنيا عن مقابلة العين، مجزئا عنه لما تكلف القائل، ولا كلف صاحبه الإقبال عليه، والإصغاء إليه. وعلى ذلك قال [البسيط]:

العين تبدى الذى فى نفس صاحبها من العـــــــــداوة أو وُدٍّ إذا كانا

وقال الهذلى [الطويل]:

رَفَوْنى[1] وقالوا: يا خويلد لا تُرَع فقلت – وأنكرت الوجوه – هم هم

أفلا ترى إلى اعتباره بمشاهدة الوجوه، وجعلها دليلا على ما فـــى النفـــوس. وعلى ذلك قالوا: رب إشارة أبلغ من عبارة" [2].

ومن المعلوم أن الإشارة والحركات التى تصاحبها والانفعالات وتغير الوجه، وكل ما يصاحب ذلك من حدث غير كلامى له أثره الكبير فى دلالة الألفاظ.

** ** ** **

(١) رفونى: سكنونى، وقالوا: لا بأس عليك . وقوله: (هم هم) أى هم الذين أخاف .

(٢) الخصائص ١/٢٤٦، ٢٤٧ .

الفصل الثانى

التغير الدلالى[1] (أسبابه و أعراضه)

مقدمة:

التفكير الإنسانى والألفاظ التى تحمله، وتعبر به عن أغراض المجتمع ظاهرة اجتماعية لا بد من خضوعها للتغير، وهذه سنة الحياة، ولن تجد لسنة الله تبديلا.

وإذا كانت الألفاظ هى المعبرة عن الأفكار فلا شك أنها تتغير بتغيرها، وتتأثر بعوامل التغيير فيها.

وإذا نظرنا إلى المعنى باعتباره علاقة بين الصيغة والفكرة حق لنا أن نقول: إن تغير الدلالة من عصر إلى عصر ليس إلا ربط الفكرة بصيغة جديدة أو ربط الصيغة بفكرة جديدة. من ذلك كلمة (العلق) معناها فى اللغة الشىء النفيس، وكلمة (الخول) معناها فى اللغة الخدم، لكن معنى الكلمتين تغير على مر العصور تغيرا مخجلا إلى مفهومهما العامى. ومن ذلك أيضا كلمة (حرامى) فى الأصل نسبة إلى الحرام، لكن دلالتها تخصصت وصارت تطلق على اللص منذ القرن السابع الهجرى. ومن ذلك كلمة (الشنب) فى لهجات الخطاب بمعنى الشارب وفى الاستعمال القديم ماء ورقة وعذوبة فى الأسنان.

وكذلك كلمة (السفرة) أصل معناها طعام المسافر، ثم صارت تطلق على ما يوضع عليه الطعام من الحجرة الخاصة بها.

أولا: أسباب التغير الدلالى:

للتغير الدلالى أسباب لغوية وتاريخية وثقافية ونفسية واجتماعية تتصل بحياة الجماعة الناطقة وتجاربها المتجددة المتغيرة، وتتضافر بعض هذه الأسباب بحيث يصعب فى كثير من مظاهر التغير فصل بعضها عن بعض.

---

(١) لمزيد فى هذا الموضوع اقر: دلالة الألفاظ د. إبراهيم أنيس١٢٤–١٢٧ ومناهج البحث فى اللغة د. تمام حسان ٢٤١ وعلم اللغة بين القديم والحديث د. عبد الغفار حامد هلال ٢٠٤.

وقد نبه اللغويون القدماء على أثر التحول الثقافى والاجتماعى الذى طرأ على حياة العرب بمجىء الإسلام فى التغير الدلالى، يقول ابن فارس: (كانت العرب فى جاهليتها على إرث من إرث آبائهم فى لغاتهم وآدابهم ونسائكهم وقرابينهم، فلما جاء الله تعالى بالإسلام حالت أحوال، ونسخت ديانات وأبطلت أمور ونقلت من اللغة ألفاظ من مواضع إلى مواضع أخر، بزيادات زيدت، وشرائع شرعت؛ وشرائط شرطت فعفى الآخر الأول. فكان مما جاء فى الإسلام ذكر المؤمن والمسلم والكافر والمنافق، وإن العرب إنما عرفت المؤمن من الأمان والإيمان، وهو التصديق، ثم زادت الشريعة شرائط وأوصافا بها سمى المؤمن بالإطلاق مؤمنا. وكذلك الإسلام والمسلم إنما عرفت منه إسلام الشىء؛ ثم جاء فى الشرع من أوصافه ما جاء؛ وكذلك كانت لا تعرف من الكفر إلا العطاء والستر، فأما المنافق فاسم جاء به الإسلام لقوم أبطنوا غير ما أظهروه، وكان الأصل من نافقاء اليربوع، ولم يعرفوا فى الفسق إلا قولهم: فسقت الرطبة، إذا خرجت من قشرها، وجاء الشرع بأن الفسق الإفحاش فى الخروج عن طاعة الله جل ثناؤه)[1].

ولقد أرجع الدكتور إبراهيم أنيس[2] التغير الدلالى إلى عاملين أساسيين لكل منهما عناصره ومقوماته هذان العاملان هما: الاستعمال، والحاجة.

(1) الاستعمال:

الألفاظ لم تخلق لتحبس؛ بل خلقت للتداول بين الناس، والتبادل بها فى حياتهم الاجتماعية، وهذا التبادل يتم عن طريق الأذهان والنفوس التى تختلف بين أفراد الجيل الواحد والبيئة الواحدة فى التجربة والذكاء وتتشكل الدلالة تبعا لذلك، ثم ترث الأجيال الناشئة الكلمات وتتخذها للتعامل والتبادل؛ ولكن هذا الإرث ليست كلماته على الحالة الأولى بل أصابها بعض الانحراف فى الدلالة، هذا الانحراف

---

(١) الصاحبى فى فقه اللغة ٧٨ – ٨٥.

(٢) انظر: دلالة الألفاظ ١٣٤ – ١٥١، وعلم الدلالة ٢٣٧ – ٢٤٢.

الذى يزيد ويتضخم على توالى الأجيال. وعناصر هذا العامل الرئيسى تتلخص فيما يأتى:

(أ) سوء الفهم[1]

يحدث ذلك عندما يسمع اللفظ للمرة الأولى فيفهم خطأ، ويوحى إلى ذهن السامع بدلالة غريبة لا تكاد تمت إلى ما فى ذهن المتكلم بأية صلة.

وهذا السامع الذى فهم هذا اللفظ خطأ قد لا تتاح له فرص أخرى لتصحيح خطئه، ويبقى اللفظ فى ذهنه مرتبطا بتلك الدلالة الجديدة.

وقد يحدث أن تتفق مجموعة من الأفراد جميعهم يسىء فهم الدلالة بطريقة واحدة، مما يساعد على تطور اللفظ تطورا مفاجئا يرثه الجيل الناشئ ويركن إليه. وهذا التغير الفجائى يتم عادة فى البيئات البدائية حيث الانعزال بين أفراد الجيل الناشئ وجيل الكبار.

ثم تسود تلك الدلالة الجديدة، ويحير الدارس فى شأنها فلا يستطيع لها تعليلا، ولا يقدر على الكشف عن ظروفها.

والدلالة الأصلية لا تندثر ولا تفنى من الوجود، بل قد تبقى جنبا إلى جنب مع تلك الدلالة الجديدة، ويخيل للناس بعد ذلك أن للفظ دلالتين مستقلتين وأنه من الممكن استعماله فى هذه أو فى تلك، وهنا ينشأ فى اللغة ما يسمى بالمشترك اللفظى.

وبهذا نجد أن للفظ الواحد عدة دلالات يتناولها الشعراء فيجمعون بينها فى أبيات من الشعر ويستدلون بها على بعد تلك الدلالات المتباينة بعضها عن بعض، من ذلك كلمة (الغروب) لها دلالات ثلاث جمعها بعض الناظمين فى قوله:

يا ويح قلبى عن دواعى الهوى إذ رجل الجيران عند الغروب

---

(١) انظر: دلالة الألفاظ ١٣٥ – ١٣٨.

أتبعتهم طـــرفى وقد أزمعـوا ودمـــع عينـــى كفـيض الغـروب

بانوا وفيـــــهم طفلـــة حـــرة تفتر عن مثـــل أقـــاحى الغـــروب

(الغروب) فى البيت الأول معناه: وقت الغروب، وفى الثانى: للدلاء جمـــع دلو، وفى الثالث: للوهاد المنخفضة.

ومن أسباب سوء الفهم السياق المضلل الذى نسمع فيه الكلمة لأول مرة يقول فندريس: "عندما نسمع جملة أو نقرؤها، نرى الكلمات التى تشتمل عليها، يفـــسر بعضها بعضا، فإذا كانت واحدة منها غير مألوفة لنا – والواقع أن هناك دائمـــا فترة فى حياتنا نسمع فيها الكلمة لأول مرة – حاولنا بطبيعـــة الحـــال تفـــسيرها معتمدين على سياق النص؛ وهذه هى الخطة التى يتبعها التلاميذ عندما يحاولون ترجمة نص أجنبى، نص لاتينى أو ألمانى مثلا.

" هذه الفكرة التى نحصل عليها بالتخمين قد تكون زائفة، ولكنها تصحح فـــى غالب الأمر؛ لأن الكلمة نفسها تقابلنا بعد ذلك فى جمل أخرى مع كلمات أخرى تحدد لنا معناها، وعلى هذا النحو يثبت فى الذهن معنى كل كلمة، وهناك كلمات محدودة الاستعمال لا تظهر مطلقا إلا فى صـــحبة بعـــض الكلمـــات الأخـــرى، وفرصة الخطأ فى هذه الكلمات أوسع؛ لأن الاستعمال لا يقدم لنا الوسيلة لتحديد قيمتها، وفى هذه الحال كثيرا ما تبتعد الكلمة عن دلالتها الأصلية بسبب المعنـــى الزائف الذى يضاف إليها" [1]. وسوء الفهم فى الحقيقة نتيجة لتلك العملية الذهنية التى تسمى بالقياس الخاطئ.

والقياس الخاطئ يتم بين الصغار والكبار، فالصغار حين يلعبون قد يقـــابلون جزءا من أجزاء إحدى اللعب ويرون أهميته، ويدركون وظيفتـــه، ولكـــنهم لـــم يسمعوا له أسماء، ولم يلقنوا له لفظا، وهنا لا يدعون لعـــبهم وينـــصرفون إلـــى السؤال عن هذا الاسم بل إنهم يستنبطون له اسما غير مألوف لدى أهليهم ؛ فمثلا

---

(١) اللغة لفندريس ٢٥٢، ٢٥٣.

يسمون (الفرملة) (بالوقافة).

وهذا القياس يتم عند الكبار حين يفسرون كلمة (عتيد) بمعنى (عتيق) أو (عنيد)، وحين يظنون أن (المستشفى) أو (الرأس) (كلمتان مؤنثتان).

يقول فندريس عن القياس الخاطئ عند الأطفال والكبار " يخلق الأطفال في مرحلة تعلمهم للغة عددا كبيرا من الصيغ الجديدة، وذلك باستجابتهم لداعى القياس، ولكن الجزء الأكبر من هذه المبتكرات يصلح فيما بعد؛ لأنها فى غالب الأحيان ليست إلا عوارض فردية ناتجة عن حس غير صائب، أو عن معرفة ناقصة باللغة، ولكن بعضها ينطبق مع الحس اللغوى العام انطباقا يجعلها تنتهى بالاستقرار، وقد يحصل أن يتجه فجأة جميع الأفراد من جيل واحد إلى الوقوع فى غلطة بعينها؛ تفرض نفسها عليه، كأنها قانون، وتصير قاعدة، وعندئذ يصبح كل مجهود يقوم به المدرس فى المدرسة عبثا، وهناك تراكيب بادية الخطأ، شائعة الاستعمال حتى بين المثقفين، وفى الأقطار التى يطغى فيها أثر النحاة لا تستسلم اللغة لفعل القياس إلا بصعوبة؛ إذ تخنق المبتكرات القياسية فى مهدها ولا تستطيع الحياة"(١).

(ب) بلى الألفاظ

علماء اللغة المحدثون يقررون أن كثرة الاستعمال تبلى، وتجعلها عرضة لقص أطرافها، كما يحدث للعملات الورقية والمعدنية التى تتبادلها أيدى البشر.

" والكلمات القصيرة كثيرا ما تقاوم الانحرافات التى تصيب الكلمات الطويلة باطراد، أما الكلمات الطويلة فعلى العكس من ذلك، تقدم لنا فى بعض الأحيان انحرافات خاصة ناجمة من طولها، وهذه بوجه خاص هى الحال بالنسبة لكلمات كثيرة الاستعمال، ومن ثم يمكن فهمها قبل النطق بها، إلى حد أن المتكلم يستطيع أن يعفى نفسه من توضيح النطق بها مكتفيا بنطقها فى صورة مختصرة، فالبلى الصوتى واضح فيها بدرجة خاصة، وهذه الألفاظ فى عمومها إما آلات مساعدة

---

(١) اللغة لفندريس ٢٠٧.

فى اللغة، وإما عبارات محفوظة متداولة، وهى لذلك ليست فى حاجة إلى وضوح النطق الذى تقتضيه الرغبة فى الإفهام"[١].

ويوضح الدكتور رمضان عبد التواب، بلى الألفاظ ضاربا له الأمثلة بقوله: " ومن الألفاظ التى تعانى هذا القص، وذلك البلى، هى الأدوات التى تدور كثيرا فى الكلام، وكذلك كلمات التحية التى يرددها الناس صباح مساء، وما شابهها؛ مثل عبارة: (عم صباحا) المتطورة عن (أنعم صباحا) و(م الله) المأخوذة من (ايمن الله)، ونحن نقول فى مصر مثلا: (سلخير) بدلا من (مساء الخير)، كما يقول العراقيون: (لله بالخير) أى: (صبحك الله أو مساك الله بالخير)٠٠٠ وهذه كلمة (للساعة) بمعنى (للآن) أصبحت فى مصر: (لسة)، وفى شمال أفريقيا (للسع)، وفى السودان (للساتى)"[٢].

(جـ) الابتذال:

العنصر الثالث للاستعمال الابتذال الذى يصيب بعض الألفاظ فى كل لغة من اللغات لأسباب منها السياسى، ومنها الاجتماعى، ومنها العاطفى. فالظروف السياسية لها دور كبير فى تطور الدلالة؛ فمثلا كلمات: (باشا، وبك، وأفندى) وغيرها من ألقاب تركية مرت بها تطورات فى دلالتها، وانحط قدرها على توالى الأيام لتغير الظروف السياسية. وكذلك من الكلمات التى انحطت دلالتها (كلمة الوزير) العربية التى أصبحت فى الأسبانية لا تعنى أكثر من (الشرطى)، وفى الإيطالية (مساعد عشماوى).

ومثل هذا يمكن أن يقال عن كلمة (الحاجب) التى كانت تعنى فى الدولة الأندلسية (رئيس الوزراء) ثم صارت على النحو المألوف الآن"[٣]. ومن الأسباب الواضحة فى ابتذال بعض الألفاظ تلك التى تتصل بالناحية النفسية العاطفية " كأن

---

(١) اللغة لفندريس ٨٩، وانظر : التطور اللغوى د.رمضان عبد التواب ص٩٥.

(٢) التطور اللغوى ٩٥.

(٣) دلالة الألفاظ د.إبراهيم أنيس ١٤٠.

يكون اللفظ قبيح الدلالة أو يتصل بالقذارة والدنس، أو يرتبط بالغريزة الجنسية؛ فهنا نلحظ أن كل اللغات تفقد بعضا من ألفاظها التى تعبر عن هذه النواحى، فتندثر تلك الألفاظ أو تنزوى، ويحل محلها لفظ آخر أقل وضوحا فى دلالته، وأكثر غموضا أو تعمية"[1].

فمثلا الكلمتان العربيتان اللتان بمعنى واحد، (المدة والصديد) نرى أن الأولى أصبحت الآن مبتذلة، وأوشكت على الانزواء من الاستعمال ويحل محلها الآن كلمة (الصديد) التى لا تزال تحتفظ بقدر من الاحترام فى الوسط الاجتماعى.

ومن الألفاظ الدائمة التطور والتغير فى دلالتها تلك التى تشير إلى التبول والتبرز، والعملية الجنسية وأعضاء التناسل، فلا يكاد اللفظ منها يشيع حتى يمجه الذوق الاجتماعى، وتأباه الآداب العامة، فيستعاض عنه بآخر من اللغة نفسها أو من لغة أجنبية.

يقول فندريس: " الأسباب الاجتماعية واضحة جدا فى تغيير الكلمات مراعاة للياقة؛ إذ ليس من اللائق أن يتكلم فى أحد المجتمعات عن أفعال معروفة بالفظاظة، أو بأنها مما يجرح الحياء وتستبعد الألفاظ التى تعبر عنها، من بين المفردات التى يستعملها الأشخاص المهذبون، فللتعبير عن هذه الأفعال عبارات متنوعة تبقى مستعملة حتى تصير بدورها خشنة، وجارحة للأذن ... والذى يقطع بكون الكلمة لائقة أو غير لائقة إنما هو العرف"[2].

وهذا ما حدث فى العربية فى أسماء الحمامات، وأماكن قضاء الحاجة، " فمثلا: كلمة (الكنيف) يعيبها ابن سنان الخفاجى – فى القرن الخامس الهجرى – فى شعر الشعراء، غير أننا لا نعرف متى استعملت كلمات مثل (المرحاض) و(بيت الأدب) و(الحمام) و(دورة المياه) وكلها لا تزال حية فى ريف بلادنا حتى يومنا هذا، غير أن الناس فى المدن، استعاروا للدلالة على هذا المكان، كلمات

---

(١) دلالة الألفاظ ص ١٤٠.

(٢) اللغة ٢٨٠.

من اللغات الأجنبية، مثل (الكابنيه)، و(التواليت) وأخيرا (الدبليوسى) (W.C)"[1].

وبعض الألفاظ يصاب بما يشبه الحظر على استعمالها فى المجتمع؛ لأن الناس يتشاءمون من ذكرها، فيستبدلون بها كلمات أخرى؛ مثل استعمالهم (المبروكة) للحمى و(المرض الخبيث) للسرطان.

(٣) الحاجة:

الحاجة هى العامل الثانى فى تطور اللغة، وهذا النوع من التطور يكون وليد الحاجة إلى التجديد فى التعبير، وهو الذى يقصد إليه قصدا، ويتم عن عمد فى ألفاظ اللغة. ويتم هذا النوع على أيدى الشعراء والأدباء كما تقوم به المجامع اللغوية، أو الهيئات العلمية حين تدعو الحاجة إليه، " والسبيل إليه هو ما يسمى بالمجاز أو الانتقال باللفظ من مجاله المألوف إلى آخر جديد عليه"[2].

عناصر الحاجة ودوافعها:[3]

(١) التطور الاجتماعى والاقتصادى والسياسى:

من أحداث التاريخ نرى أن الأمم لا تبقى على حال؛ بل تتغير الأمة من زمن إلى آخر وتتبع اللغات الأمم فى صعودها وهبوطها، وفى تطورها وتغيرها، فكل تطور فى حياة الأمة يترك أثرا قويا واضحا فى لغتها.

والأمم عادة تستجيب لمظاهر الحياة، فتعمل على تغيير الدلالات فى بعض ألفاظها حتى يمكن أن تساير الزمن، أو تستعير ما هى فى حاجة إليه من ألفاظ اللغات الأخرى. ونظرا لتطور الحياة فى أمورها المختلفة من أبنية وموت وأسواق وأدوات وجد الإنسان نفسه مضطرا إلى التطور أيضا فى الألفاظ المعبرة عن أدواته ومواصفاته وصناعاته وملابسه وأبنيته.

فيلجأ إزاء هذه الضرورة **إلى وسيلتين:**

---

(١) التطور اللغوى – مظاهره وعلله وقوانينه د.رمضان عبد التواب ص١٢٠.

(٢) دلالة الألفاظ ١٤٥.

(٣) انظر: دلالة الألفاظ ١٤٥ – ١٥١.

الأولى: أن يعمد إلى الألفاظ القديمة ذات الدلالات المندثرة فيحيى بعضها، ويطلقه على مستحدثاته ملتمسا فى هذا أدنى ملابسة. وهكذا وجدنا أنفسنا أمام مجموعة كبيرة من الألفاظ القديمة الصورة الجديدة الدلالة ؛مثل: المدفع، والقنبلة، والدبابة، واللغم، والطيارة، والسيارة، والبريد، والقاطرة.

وغير ذلك من آلاف الألفاظ التى أحياها الناس أو اشتقوها، وخلعوا عليها دلالات جديدة تطلبتها حياتهم الجديدة.

وهذه العملية تتم عادة عن طريق الهيئات والمجامع اللغوية، أو قد يقوم بها بعض الأفراد من الموهوبين فى صناعة الكلام ؛ كالأدباء والكتاب والشعراء، ثم تفرض تلك الألفاظ فى وضعها الجديد على أفراد المجتمع للتداول والتعامل بها.

بيد أن بعض هذه الألفاظ فى وضعها الجديد يلقى القبول فيذيع ويشيع، ويصبح بعد حين من الكلمات المألوفة المعروفة، وبعضها الآخر يلقى الصعاب والاعتراض فلا يكاد يظهر حتى يختفى من الاستعمال.

وقد يصل الشيوع بالدلالة الجديدة حدا تنسى معه الدلالة القديمة نسيانا تاما، فلا يبقى لها أى أثر فى أذهان الناس.

من هذه الكلمات كلمة (السيارة) التى كانت تعنى القافلة فى الصحراء وأصبحت الآن لها المعنى المعروف، وكذلك كلمة (القاطرة) التى كانت تعنى الناقة الأولى التى تسير القافلة على هديها.

وهذه الدلالات الجديدة للألفاظ القديمة ما هى إلا وليدة الحاجة والضرورة الملحة حتى لا تتخلف العربية عن ركب الحضارة.

الثانية: الاستعارة من لغات أجنبية: قد تدعو الحاجة أو الضرورة إلى الالتجاء إلى ألفاظ اللغات الأجنبية وهذه الاستعارة **نوعان:**

الأول: استعارة تدعو الحاجة إليها: وهذا النوع عرفه القدماء كما عرفه المحدثون ؛ فقد استعار العرب من الفرس واليونان ألفاظا للتعبير عن أشياء ليست فى بلاد العرب. فقد عمدوا إلى بعض تلك الألفاظ فحوروا فى بنيتها

وجعلوها على نسج الكلمات العربية وسموها بالمعربة، وتركوا بعضها الآخر على صورته وسموه بالدخيل، ويكفينا للتعرف على مثل هذه الاستعارة أن نرجع إلى الكتب التى ألفت فى هذا الشأن مثل: شفاء الغليل للشهابى، والمعرب للجواليقى.

وقد استعارت اللغات الأجنبية بعضا من ألفاظنا العربية بعد أن صبغتها بصبغتها مثل: {الجبر Algebra، والكحول– Alcohol وقهوة Coffee، ومنارة – Minaret، وترجمان Dragoman}.

" ويحدثنا اللغويون المحدثون أن الأمم الأوربية لم تتردد فى استعارة كلمة (Tea) من اللغة الصينية حيث المصدر الأصلى للشاى، وكلمة (الشمبانزى) من إحدى لغات أفريقيا، وكلمة (الشيكولاتة) من اللغة المكسيكية، وكلمة (الياسمين) من الفارسية ٠٠ وغير ذلك من ألفاظ تعبر عن أشياء لا وجود لها فى البيئات الأوربية أو وفدت إليها من المصادر الأصلية"(١).

الثانى: استعارة بسبب الإعجاب: قد تعجب أمة بأمة وتتأثر بثقافتها أو تكون خاضعة لنفوذها السياسى وهنا نجد أن مجموعة كبيرة من ألفاظ الأمة صاحبة النفوذ والسيطرة تغزو الأمة الأخرى، وتنافس ألفاظها الأصلية؛ وبذلك يصبح للمعنى الواحد لفظان: أحدهما: أصيل والآخر: أجنبى دخيل، يسودان معا جنبا إلى جنب زمنا ما، بعده قد ينزوى اللفظ الأصلى أو يندثر.

فى هذه الحالة يستأثر اللفظ الأجنبى بالاحترام والتقدير فى الأوساط الاجتماعية الراقية، وفى المجال الثقافى. " وتلك هى الاستعارة التى تترك أثرا ظاهرا فى تطور الدلالة لبعض الألفاظ فى اللغات. أما الاستعارة التى تكون وليدة الحاجة الضرورية فلا نكاد نلمح لها أثرا فى تطور الدلالات أو تغيرها بل هى مجرد تنمية لألفاظ اللغة، وإضافة جديدة فيها"(٢).

---

(١) دلالة الألفاظ ١٤٩.

(٢) دلالة الألفاظ ١٥٠.

من ذلك ندرك أن استعارة اللفظ الأجنبى بالرغم من وجود نظير أصيل لـــه يعبر عن نفس المعنى تؤدى إلى تطور فى دلالة اللفظ الأصيل؛ حيث إنه ينزوى إلى جانب متواضع من الدلالات الأصلية قانعا بهـــا، ولا يتعـــدى حـــدودها، أو يقتصر استعماله على مجال معين، أو وسط اجتماعى معين.

أما اللفظ الأجنبى فيصير له السيادة، ويفوز بكل تقدير واحترام. هذا إذا اتخذ اللفظ الأصيل ركنا منزويا، أما إذا بقى اللفظ الأصيل على ما هو عليه، بجـــوار اللفظ الأجنبى تكون منهما ما يسمى بالترادف.

من ذلك ما فعله العرب قديما حيث عرفوا " لفظ (الحرير) ثم لم يقنعوا بـــه، فاستعاروا معه ألفاظا منافسة؛ كالسندس والإستبرق والديباج، ثم أبى تجار العرب إلا أن يختصوا تلك الألفاظ الأجنبية بصفات خاصة، فنسبوا للإستبرق بعضا منها وللسندس أخرى، وللديباج ثالثة، طلبا لرواج بضائعهم، فاقتصرت دلالة الحريـــر على المعنى العام"[1].

هل كل الألفاظ تقبل الاستعارة ؟

ليست كل الألفاظ قابلة للاستعارة؛ فمنها ما يمكن أن يسمى بالألفاظ العـــصية على الاستعارة.

" وهى التى تعد من العناصر القديمة الأصلية المميزة للغـــة، وليـــست مـــن اليسير ولا من المرغوب فيه التخلص منها أو استجلاب منـــافس لهـــا، كألفـــاظ الأعداد فى كل لغة، وكالضمائر وألفاظ الإشارة والموصول"[2].

ولكن قد يحدث أن تستعير أمة من أمة أخرى نوعا من ألعابها وتستعير معه الألفاظ الأجنبية الخاصة باللعبة مثل: لعبة (النرد) التى استعرناها من الفـــرس، واستعرنا معها طريقة الفرس فى العد.

---

(١) دلالة الألفاظ ١٥٠.

(٢) دلالة الألفاظ ١٥٠، ١٥١.

ثانيا: أعراض التغير الدلالى[1]

إن ظاهرة التغير الدلالى فى الألفاظ تشبه العلة التى قد تعترى الكائن الحى، وإذا كان الأمر كذلك فلا بد من تبيين أعراضها ومظاهرها.

وتكاد تتلخص تلك الأعراض والمظاهر **فيما يأتى:**

(أ) انحطاط الدلالة:

هذا النوع من التغير يصدق على الكلمات التى كانت دلالتها تعد فى نظر الجماعة نبيلة أو قوية نسبيا أو عادية، ثم تحولت هذه الدلالات إلى درجة أقل؛ أى صار لها مرتبة دون ما كان لها من قبل، أو أصبح لها ارتباطات يزدريها المجتمع.

فمن الكلمات ذات الدلالة القوية التى هان شأنها نسبيا بسبب التحولات الاجتماعية كلمة (السيد) العربية التى كانت تعنى قديما زعيم القبيلة أو سيد القوم. فقد انحطت دلالة هذه الكلمة الآن فى لهجة الخطاب فى مصر، ولم يعد لها نفس المدلول السابق.

ومن ذلك ما أصاب اللقب الدخيل (الأفندى) الذى كان يطلق على الخديوى فى منتصف القرن التاسع عشر، وانتهى أمره فى مجتمعنا إلى أن يلقب به صغار الموظفين، ويتجافى عنه كبارهم.

ومن الكلمات ذات الدلالة القوية أصلا ثم هان شأنها نسبيا تهديدنا الخصم عند الشجار العادى بـ (القتل) و(كسر الرجلين) و(دق الرقبة)، ولا شىء من ذلك يحدث، ولا يعتبر هذا فى نظر القضاء مثلا شروعا فى القتل حقا. والألقاب الدنيوية – بصفة عامة – يكثر أن يصيبها انحطاط الدلالة؛ وذلك بسبب كثرة من يطلق عليهم اللقب، أو بسبب استخدام اللقب فى مجال أو موضوع أضعف من

---

(١) انظر: علم اللغة د. محمود السعران٢٨٠ – ٢٨٦، ودلالة الألفاظ د.إبراهيم أنيس١٥٢ – ١٥٩ ودراسة المعنى عند الأصوليين د. طاهر سليمان حمودة١٨٨ – ١٩٩ ودور الكلمة فى اللغة ١٧٩ – ٢٠٢، وعلم الدلالة ٢٤٣ – ٢٥٠.

مجاله الأول. وقد أشار الشاعر الأندلسى إلى استخدام الألقاب الضخمة فى مدلولات **أقل شأنا بقوله:**[البسيط]

ألقاب مملكة فى غير موضعها كالقط يحكى انتفاخا صولة الأسد

فاستعمال الألقاب ذات الدلالة الرفيعة الشأن فى موضوعات أقل شأنا يفقدها جانبا كبيرا من علو قدرها. من ذلك: كلمة (الحاجب) كانت تعنى (رئيس الوزراء) فى الدولة الأندلسية، وكلمة (الوزير) العربية أصبحت فى الأسبانية لا تعنى أكثر من شرطى، وفى الإيطالية (مساعد عشماوى).

" وقد لوحظ أن أكثر الكلمات التى تميل إلى أن تنحط دلالة هى على وجه خاص تلك الدلالة حول الجنس وما يتصل به، وحول الزهو الطبقى وحول ما يثير فى الجماعة الكلامية مشاعر الخجل – كأسماء قطع الملابس الداخلية – وحول ما يثير بطبيعته اشمئزازا ونفورا"(١).

وأختم هذا النوع بهذا المثال: (طول اليد) قديما كانت تعنى السخاء والجود، وقد وردت فى الحديث الشريف بهذا المعنى، حين قالت للنبى ﷺ نساؤه: (أينا أسرع لحاقا بك يا رسول الله؟ فقال ﷺ: **أطولكن يدا**). وأصبحت الكلمة تستعمل الآن على الألسنة وفى لهجات الخطاب بمعنى السرقة.

(٢) رقى الدلالة

وهو اتجاه فى التغير الدلالى معاكس للاتجاه السابق؛ حيث تتحول الكلمات التى كانت تدل فى الأصل على معان وضيعة أو ضعيفة نسبيا أو عادية إلى كلمات تدل فى نظر المجتمع على معان أرفع أو أشرف أو أقوى، وهو تحول يرتبط بالقيم الاجتماعية، وقد يرتبط بتغير المسمى نفسه إلى حالة أرقى مما كان عليه. من ذلك كلمة (مارشال Marshal) الإنجليزية وهى أكبر لقب حربى كانت تعنى فى وقت من الأوقات الغلام الذى يتعهد الخيل – Mares، أى (السائس أو خادم الإصطبل).

---

(١) علم اللغة د. محمود السعران ٢٨١.

وفى العربية نجد كلمة مثل (العفش) كانت تعنى (سقط المتاع)، وأصبحت تطلق الآن على أثاث العروس الثمين.

وقد ترقى الدلالة بسبب تطور المسمى نفسه (المدلول) فكلمة (بيت) التى كانت تدل على المسكن المصنوع من الشعر، أو المسكن البسيط أصبحت تطلق على المسكن الضخم المتعدد الطوابق والغرف، ومثلها فى الإنجليزية كلمة (Ship) سفينة، كانت قديما تطلق على السفينة البسيطة التى يبحر عليها القراصنة وأصبحت الآن تطلق على الباخرة الضخمة.

(٣) تخصيص الدلالة:

كثيرا ما يحدث فى اللغات جميعا أن تخصص ألفاظ كان يستعمل كل منها للدلالة على طبقة عامة من الأشياء فيدل كل منها على حالة أو حالات خاصة، وهكذا يضيق مجال (الأفراد) الذى كانت تصدق عليه أو لا.

من ذلك كلمة (Meat) التى تعنى الآن فى الإنجليزية اللحم، كانت دلالتها فيما مضى أعم، وكانت تعنى مجرد (الطعام).

وفى العربية كلمة (الفاكهة) كان من معانيها (الثمار كلها) ثم خصص هذا المعنى للدلالة على أنواع معينة من الثمار كالتفاح والعنب والموز والخوخ ...

وكذلك الحال فى لهجات الخطاب عندنا تخصصت كلمة (الطهارة) وأصبحت تعنى (الختان) وتخصصت كلمة (الحريم) بعد أن كانت تطلق على كل محرم لا يمس أصبحت الآن تطلق على (النساء)، وكذلك كلمة (العيش) حين تطلق على (الخبز). ومن ذلك أيضا فى العربية كلمة (الرث) فهى تعنى (الخسيس من كل شىء) ثم خصصت فى الاستعمال بما يلبس أو يفترش.

(٤) تعميم الدلالة:

تعميم المعنى هو الاتجاه المعاكس للتخصيص فى التغير الدلالى، حيث تستعمل بعض الكلمات التى كانت تدل على فرد أو أفراد قلائل فى الدلالة على أفراد كثيرين.

ومن ذلك فى الإنجليزية كلمة (Barn) كانت تدل فيما مضى على (مخزن الشعير) ولكنها الآن تدل على مخزن أى نوع من أنواع الحبوب، وعلى مخزن ما سوى الحبوب أحيانا.

وفى استعمال المصريين تطلق كلمة (الورد) على الورد الأحمر المعروف نفسه، وهذا هو الأصل فى معناها، وتطلق فى الوقت نفسه على كل زهر من الزهور.

وكلمة (عربية) كانت قاصرة على العربية التى تدفع باليد أو تجرها الخيل مثلا، ثم اتسع معناها فصارت تشمل (السيارة الآلية) كذلك.

وقد لاحظ اللغويون القدماء هذا النوع من التغير؛ " فالأصمعى يذكر أن أصل الورد – بكسر الواو –: إتيان الماء، ثم صار إتيان كل شىء وردا والقرب: طلب الماء، ثم صار يستعمل فى كل طلب فيقال: هو يقرب كذا أى يطلبه، كما يذكر ابن دريد أن النجعة أصلها طلب الغيث، ثم صار كل طلب انتجاعا "[1].

ومن الكلمات التى أصابها التعميم (البأس) فى أصل معناها كانت خاصة بالحرب، ثم أصبحت تطلق على كل شدة، وكلمة (البحر) تطلق على النهر والبحر، ومن هذا التعميم أيضا تحويل الأعلام إلى صفات؛ فالعلم (قيصر) قد يطق ويراد منه العظيم الطاغية؛ و(نيرون) ثم الظالم أو المجنون و(حاتم) الكريم المضياف، و(عرقوب) للمخادع القليل الوفاء.

(٥) التغير نحو المعانى المضادة أو المختلفة:

من الملاحظات الصادقة على أكثر اللغات إن لم يكن عليها جميعا استعمال كلمة للدلالة على معنى معين، واستعمالها فى نفس الوقت للدلالة على ضد هذا المعنى. وقد درس لغويو العربية هذا الجانب من جوانب مفردات لغتنا.

ولهم فى الأضداد كتب كثيرة ؛ من ذلك كلمة (الجون) تطلق على الأسود وعلى الأبيض جميعا.

---

(١) المزهر للسيوطى ٤٢٩/١، وانظر: دراسة المعنى عند الأصوليين١٩٦.

ومن ذلك أيضا (بان) بمعنى فارق وانقطع، و(بان)بمعنى ظهر واتضح؛ ومنها (طرب) بمعنى اضطرب حزنا وبمعنى اضطرب فرحا.

(٦) انتقال الدلالة:

يقول ابن فارس: " قال علماؤنا: العرب تسمى الشيء باسم الشيء إذا كان مجاورا له، أو كان منه بسبب؛ وذلك قولهم: (التيمم) لمسح الوجه من الصعيد، وإنما التيمم الطلب والقصد؛ يقال: تيممتك وتأممتك؛ أى تعمدتك.

ومن ذلك تسميتهم السحاب (سماء) والمطر (سماء) وتجاوزوا ذلك إلى أن سموا النبت سماء، قال شاعرهم {الوافر}:

إذا نزل السماء بأرض قوم

وربما سموا الشحم (ندى) لأن الشحم عن النبت، والنبت عن الندى؛ قال ابن أحمر {الطويل}:

كثور العذاب الفرد يضربه الندى تعلَّى الندى فى متنه وتحدرا

ومن هذا الباب قول القائل {الرجز}:

قد جعلت نفسى فى أديم

أراد بالنفس الماء؛ وذلك أن قوام النفس يكون بالماء.

وذكر ناس أن من هذا الباب قوله جل ثناؤه: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾[1] يعنى خلق؛ وإنما جاز أن يقول: أنزل؛ لأن الأنعام لا تقوم إلا بالنبات، والنبات لا يقوم إلا بالماء، والله جل ثناؤه – ينزل الماء من السماء.

قال: ومثله ﴿قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشاً﴾[2]، وهو (جل ثناؤه) إنما أنزل الماء، لكن اللباس من القطن والقطن لا يكون إلا بالماء.

---

(١) الزمر: ٦.

(٢) الأعراف: ٢٦.

قال: ومنه قوله جل ثناؤه: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ [1] إنما أراد – والله أعلم – الشيء ينكح به من مهر ونفقة، وما لا بد للمتزوج به منه "[2].

وهذا الذى ذكره ابن فارس يسميه علماء اللغة المحدثون انتقال الدلالة[3]، ويعرفونه بأنه الانتقال " عندما يتعادل المعنيان أو إذا كانا لا يختلفان من جهة العموم والخصوص؛ كما فى حالة انتقال الكلمة من المحل إلى الحال. أو من السبب إلى المسبب، أو من العلامة الدالة إلى الشيء المدلول عليه ... إلخ أو العكس "[4].

وأسباب انتقال الدلالة عند المحدثين ثلاثة[5]:

أ – علاقة المجاورة المكانية ؛ مثل: الذقن (وهو مجمع اللحيين) يستعمل فى خطاب الناس بمعنى اللحية، أو المجاورة الزمانية ؛ مثل: العقيقة (وهى فى الأصل الشعر الذى يخرج على الولد من بطن أمه) تستعمل بمعنى الذبيحة التى تذبح عند حلق الشعر.

ب – علاقة المشابهة ؛ مثل استعمال كلمة (عين) مع الإبرة، نقول: عين الإبرة؛ بذلك نكون استعملنا اللفظ الدال على عين الإنسان استعمالا مجازيا، والذى سوغ ذلك هو شدة التشابه بين هذا العضو، والثقب الذى ينفذ الخيط من خلاله.

جـ– الاشتراك فى جزء كبير من الدلالة؛ مثل: (النبيل) حين يستعمل بمعنى (الشريف) أو العكس، بالرغم من أن النبل هو النجابة، والشرف هو العلو.

---

(١) النور: ٢٣.

(٢) الصاحبى ١١٠، ١١١.

(٣) انظر: اللغة لفندريس ٢٥٦، ودلالة الألفاظ ١٦٥، ١٦٦، ودور الكلمة فى اللغة ١٨١، وعلم الدلالة ٢٤٧ – ٢٤٩، وعلم اللغة د. وافى ٣١٦

(٤) اللغة ٢٥٦.

(٥) انظر: دلالة الألفاظ ١٦٥، ١٦٦ وعلم اللغة للدكتور على عبد الواحد وافى٣١٦، ٣١٧، ودور الكلمة فى اللغة ١٨٣ – ١٩٢.

ومثل: (النبيه) حين يستعمل فى خطاب الناس بمعنى (الذكى) بالرغم من أن النباهة هى الشهرة.

أما طرائق انتقال الدلالة فيحددها فندريس بقوله: " وأن انتقال المعنى يتضمن طرائق شتى يطلق عليها النحـــاة أســـماء اصـــطلاحية (metaphore) الاســـتعارة synecdoque إطلاق البعض على الكل أو metonymie المجاز المرسل بوجه عام أو catachrese المجاز المرسل بعلاقة الشبه أو غيره عند عدم وجود اسم للشىء المنقول إليه... "[1].

** ** ** **

(١) اللغة ٢٥٦، وانظر: دور الكلمة فى اللغة ١٨٣ – ١٩٢.

الفصل الثالث

تعدد المعنى

مقدمة:

الأصل فى اللغة أن يوضع فيها اللفظ الواحد للمعنى الواحد؛ ولكن بفعل ظروف معينة تتعدد الألفاظ للمعنى الواحد، ويتعدد المعنى للفظ الواحد يقول سيبويه: " واعلم أن من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين ... فاختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين هو نحو: جلس وذهب – واختلاف اللفظين والمعنى واحد نحو: ذهب وانطلق. واتفاق اللفظين والمعنى مختلف قولك: وجدت عليه من الموجدة، ووجدت إذا أردت وجدان الضالة، وأشباه هذا كثير"(١).

ويقول ابن فارس: " يسمى الشيئان المختلفان بالاسمين المختلفين، وذلك أكثر الكلام؛ كرجل وفرس. وتسمى الأشياء الكثيرة بالاسم الواحد؛ نحو: عين الماء، وعين المال، وعين السحاب. ويسمى الشيء الواحد بالأسماء المختلفة؛ نحو: السيف والمهند والحسام "(٢).

والذى يعنينى من هذه الأنواع الثلاثة **النوعان الثانى والثالث.**

أولا: الترادف

الترادف هو: " الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد "(٣) وبأسلوب آخر: هو دلالة لفظين أو أكثر على معنى واحد.

ومن الأمثلة على الترادف التى ذكرها **علماء العربية:**

---

(١) الكتاب ١/٢٤.

(٢) الصاحبى فى فقه اللغة ١١٤.

(٣) المزهر للسيوطى١/٤٠٢، والمقصود بالاعتبار الواحد: ألا يكون أحدهما باعتبار الاسمية، والآخر باعتبار الوصفية؛ كالسيف والصارم.

١ – **السيف يذكر ابن خالويه من أسماء السيف:** " الصارم، والرِّداء، والخليل، والقضيب، والصفيحة، والمفَقّر[١]، والصمصامة والمأثور[٢]، والمِقضب، والكَهَام، والأنيث، والمِعْضد، والجُراز، واللّدْن والفُطَار[٣]، وذو الكريهة، والمشرفى والقُساسى، والعضب، والحسام، والمذكر، والهُذام، والهذوم، والمُنْصَل، والهَذّاذ والهذهاذ، والهذاهذ، والمِخْصَل[٤]، والمِهذم، والقاضب والمُصمِّم، والمطبِّق، والضريبة، والهندوانى، والمهند، والصقيل، والأبيض، والغَمْر، والعقبقة، والمتين، وهو الذى لا يقطع، والهندكى أيضا فى شعر كثير "[٥].

٢ – **العسل:** ذكر له صاحب القاموس فى كتابه الذى سماه (ترقيق الأسل لتصفيق العسل) ثمانين اسما؛ **وهى:** (العسل، والضَّرَب، والضَّربة، والضريب، والشوْب، والذَّوْب، والحميت والتحموت، والجلْس، والوَرْس، والأرْى، والإذواب، واللوْمة واللِّئْم، والنسيل، والنسيلة، والطَّرْم، والطِّرْم والطرام، والطريم، والدستفشار، والمُسْتفشار[٦]، والشَّهد والشُّهد، والمِحران، والعُفافة، والعُنفوان، والماذى، والماذية، والطَّن، والطُّن، والبِلة،والبَلة، والسَّنُّوت، والسِّنَّوت، والسنوة، والشراب، والغَرَب، والأَسّ والصبيب، والمَزْج، والمِزْج، ولعاب النحل والرضاب، ورضاب النحل، وجنى النحل، وريق النحل، وقىء الزنابير، والشَّوْر، والسلوى، ومجاج النحل، والثواب، والحافظ، والأمين والضَّحْل، والشفاء، واليمانية، واللِّواص، والسليق

---

(١) سيف مفقر كمعظم فيه حزوز مطمئنة عن متنه.

(٢) سيف مأثور: فى متنه أثر.

(٣) أى مشقق.

(٤) السيف القطاع.

(٥) المزهر ٤٠٩/١، ٤١٠.

(٦) فى اللسان ٤١٩٥/٦: هو معرب؛ وهو العسل المعتصر بالأيدى إذا كان يسيرا، وإن كان كثيرا فبالأرجل؛ ومنه قول الحجاج فى كتابه إلى بعض عماله بفارس: أن ابعث إلى بعسل من عسل خلار، من النحل الأبكار، من المستفشار الذى لم تمسه النار.

والكُرْسُفى، واليعقيد، والسُّلْوانة، والسُّلوان، والرَّخْف، والجنـــى، والـــسُّلاف، والسُّلافة، والسرو، والشرو، والصميم، والجُث، والصهباء، والخِيم، والخُـــو، والضج والسَّدى، والرحيق، والرُّحاق، والصَّمُوت، والمَج والمجلب، والحَلَب، والعِكْبِر، والنحل، والأصبهانية "[1].

٣ - **الدين:** يقول ابن خالويه: " الدين: العادة؛ قال الشاعر{الوافر}:

تقـــول إذا درأت لهـــا وضـــينى أهـــــذا دينـــــه أبدا ودينـــى

أكـــل الـــدهر حـــل وارتـــــحال أما تبـــــقى على ولا تقينـــى

تقول العرب: ما زال ذاك دأبه، وعادته، وإجرياءه ممدودا وإجرياه مقـــصورا، وهجيراه، وإهجيراه، وديدنه، وديدونه، ودينه "[2].

موقف علماء العربية القدماء من الترادف:

لقد شهد القرن الرابع الهجرى خلافا بين علماء العربية فى ظاهرة الترادف، منهم من ينكرون الترادف فى ألفاظ اللغة، ويلتمسون فروقا دقيقة بـــين معـــانى الكلمات، ربما وصلت فى بعض الأحيان إلى التعسف والتكلـــف، ومـــنهم مـــن يعترفون بوقوعه فى الألفاظ ولكن بعضا منهم يغالون فى رأيهـــم إلـــى حـــد أن سمحوا بمئات الكلمات للمعنى الواحد فى بعض الأحيان[3].

يقول السيوطى: " ومن الناس من أنكره، وزعـــم أن كـــل مـــا يظـــن مـــن المترادفات فهو من المتباينات؛ إما لأن أحدهما اسم الذات والآخر اسم الصفة، أو صفة الصفة قال: {أى الإمام فخر الدين}: والكلام معهم إما فى الجواز، ولا شك فيه؛ أو فى الوقوع إما من لغتين، وهو أيضا معلوم بالضرورة أو من لغة واحدة؛ كالحنطة والبر والقمح؛ وتعسفات الاشتقاقيين لا يشهد لها شبهة فضلا عن حجة.

---

(١) المزهر ٤٠٧/١، ٤٠٨.

(٢) إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ٢٥.

(٣) انظر: فى اللهجات العربية للدكتور إبراهيم أنيس ١٧٤.

وقال التاج السبكى فى شرح المنهاج: ذهب بعض الناس إلى إنكار المترادف فى اللغة العربية، وزعم أن كل ما يظن من المترادفات فهو من المتباينات التى تتباين بالصفات، كما فى الإنسان والبشر؛ فإن الأول موضوع له باعتبار النسيان أو باعتبار أنه يؤنس، والثانى باعتبار أنه بادى البشرة. وكذا الخندريس والعقار؛ فإن الأول باعتبار العتق، والثانى باعتبار عقر الدن لشدتها. وتكلف لأكثر المترادفات بمثل هذا المقال العجيب "[1].

ويقول ابن فارس: " ويسمى الشىء الواحد بالأسماء المختلفة؛ نحو: السيف والمهند والحسام. والذى نقوله فى هذا: أن الاسم واحد، وهو السيف، وما بعده من الألقاب صفات. ومذهبنا أن كل صفة منها فمعناها غير معنى الأخرى.

وقد خالف فى ذلك قوم، فزعموا أنها وإن اختلفت ألفاظها فإنها ترجع إلى معنى واحد؛ وذلك قولنا: سيف وعضب وحسام. وقال آخرون: ليس منها اسم ولا صفة إلا ومعناه غير معنى الآخر. قالوا: وكذلك الأفعال؛ نحو: مضى وذهب وانطلق، وقعد وجلس ورقد ونام وهجع. قالوا: ففى (قعد) معنى ليس فى (جلس) وكذلك القول فيما سواه. وبهذا نقول، وهو مذهب شيخنا أبى العباس أحمد بن يحيى ثعلب.

واحتج أصحاب المقالة الأولى: بأنه لو كان لكل لفظة معنى غير معنى الأخرى لما أمكن أن يعبر عن شىء بغير عبارته؛ وذلك أنا نقول فى (لا ريب فيه): (لا شك فيه) فلو كان (الريب) غير (الشك) لكانت العبارة عن معنى الريب بالشك خطأ؛ فلما عبر عن هذا بهذا علم أن المعنى واحد.

قالوا: وإنما يأتى الشعر بالاسمين المختلفين للمعنى الواحد فى مكان واحد تأكيدا ومبالغة؛ كقولهم [الطويل]:

وهند أتى من دونها النأى والبعد

قالوا: فالنأى هو البعد.

---

(١) المزهر ١/٤٠٣.

قالوا: وكذلك قول الآخر [الكامل]:

... عام الحبس والأصر

إن الحبس هو الأصر.

ونحن نقول: إن فى (قعد) معنى ليس فى (جلس) ألا ترى أنا نقول: قام ثم قعد، وأخذه المقيم والمقعد، وقعدت المرأة عن الحيض.

ونقول لناس من الخوارج: قعد ثم نقول: كان مضطجعا فجلس، فيكون القعود عن قيام، والجلوس عن حالة هى دون الجلوس؛ لأن الجلس: المرتفع؛ فالجلوس ارتفاع عما هو دونه، وعلى هذا يجرى الباب كله.

وأما قولهم: إن المعنيين لو اختلفا لما جاز أن يعبر عن الشىء بالشىء، فإنا نقول: إنما عبر عنه من طريق المشاكلة، ولسنا نقول: إن اللفظتين مختلفتان، فيلزمنا ما قالوه، وإنما نقول: إن فى كل واحدة منهما معنى ليس فى الأخرى" [1].

" وقال العلامة عز الدين بن جماعة فى شرح جمع الجوامع: حكى الشيخ القاضى أبو بكر بن العربى بسنده عن أبى على الفارسى قال: كنت بمجلس سيف الدولة بحلب، وبالحضرة جماعة من أهل اللغة، وفيهم ابن خالويه فقال ابن خالويه: أحفظ للسيف خمسين اسما، فتبسم أبو على وقال: ما أحفظ له إلا اسما واحدا، وهو السيف – قال ابن خالويه: فأين المهند والصارم وكذا وكذا ؟ فقال أبو على: هذه صفات؛ وكأن الشيخ لا يفرق بين الاسم والصفة.

وقال الشيخ عز الدين: والحاصل أن من جعلها مترادفة ينظر إلى اتحاد دلالتها على الذات، ومن يمنع ينظر إلى اختصاص بعضها بمزيد معنى؛ فهى تشبه المترادفة فى الذات، والمتباينة فى الصفات. قال بعض المتأخرين: وينبغى أن يكون هذا قسما آخر، وسماه المتكافئة. قال: وأسماء الله تعالى وأسماء رسولهﷺ من هذا النوع؛ فإنك إذا قلت: إن الله غفور رحيم قدير، تطلقها دالة على الموصوف بهذه الصفات. قال الأصفهانى: وينبغى أن يحمل كلام من منع

---

(١) الصاحبى فى فقه اللغة ١١٥، ١١٦.

على منعه فى لغة واحدة، فأما فى لغتين فلا ينكره عاقل"[1]. **وكلام علماء العربية القدماء يمكن إرجاعه إلى أربعة آراء:**[2]

الرأى الأول: يرى بعض علماء العربية أن الترادف بمعناه المطلق غير موجود؛ أى أنهم يؤمنون بوجود المترادفات بمعنى عام ويخرجون ما ورد منها بقيد من القيود. هذا القيد عند هؤلاء هو أن بعض الكلمات المترادفة لها معان جزئية دقيقة، أو ألوان من المعانى التى لا توجد فى بعضها الآخر.

ومن أصحاب هذا الاتجاه ابن فارس وابن الأعرابى وثعلب: وقد ورد فى كلامهم ما يؤيد ذلك يقول ابن فارس بعد ذكره ألفاظ مترادفة " ومذهبنا فى أن كل صفة منها فمعناها غير معنى الأخرى ".

ويقول ابن الأعرابى: " كل حرفين وضعتهما العرب على معنى، فى كل واحد منهما معنى ليس فى صاحبه، ربما عرفناه فأخبرنا به، وربما غمض علينا، فلم نلزم العرب جهله ؟"

ويتفق ابن درستويه مع هذا الرأى فى أحد أقواله، كما روى بعض العلماء، وله بالإضافة إلى ذلك تخريج آخر بالنسبة للمترادفات؛ حيث يعترف بوقوعها، ولكنه يرجع الكلمات المختلفة إلى لهجات مختلفة، ومما يؤيد هذا التخريج قوله: " ولا يكون فعل وأفعل بمعنى واحد، كما لم يكونا على بناء واحد إلا أن يكونا من لغتين مختلفتين ".

الرأى الثانى: ينكر بعض العلماء وجود الترادف إنكارا تاما؛ من هؤلاء أبو على الفارسى شيخ ابن جنى، والقصة التى رواها السيوطى فى مزهره تؤيد ذلك، قال أبو على الفارسى: كنت بمجلس سيف الدولة بحلب، وبالحضرة جماعة من أهل اللغة، وفيهم ابن خالويه، فقال ابن خالويه: أحفظ للسيف خمسين اسما، فتبسم أبو على، وقال: ما أحفظ له إلا اسما واحدا وهو السيف. قال ابن

---

(١) المزهر ١/٤٠٥.

(٢) انظر: دور الكلمة فى اللغة هامش ١١٦ – ١١٩.

خالويه: فأين المهند والصارم وكذا وكذا ؟ فقال أبو على: هذه صفات؛ وكأن الشيخ لا يفرق بين الاسم والصفة ".

ومفهوم هذا الكلام أن هذه الصفات لها معان مستقلة ومختلفة عن معنى اسم السيف نفسه، ومن ثم لا ترادف بينها جميعا.

الرأى الثالث: أصحاب هذا الرأى يرون أن الترادف واقع بالفعل ويقع على مر الأيام والأزمان، وهم يؤمنون بوقوعه مطلقا ولا يحاولون تخريج أمثلته وتأويلها كما ذهب أصحاب الرأيين الأولين.

وقد ذهب إلى هذا الرأى كثير من النحويين واللغويين.. وعاب ابن درستويه رأى هؤلاء، ذاكرا أنهم جهلوا حقيقة الأمر وأنهم تأولوا على العرب ما لا يجوز؛ فهو يرى أن الفروق فى الدلالات بين المترادفات كان يعرفها العرب الأول ويدركونها بسليقتهم وطبيعتهم السليمة، ولكن هؤلاء القوم القائلين بوقوع الترادف لم يستطيعوا فهم هذه الفروق وإدراكها، فظنوا أن الكلمات متحدة المعنى، ونسبوا ذلك إلى العرب، وهذا خلاف الواقع على ما يرى ابن درستويه.

الرأى الرابع: أصحاب هذا الرأى من العلماء يرون أن ما يسمى بالترادف يمكن تقسيمه **<u>إلى قسمين:</u>**

قسم سموه بالترادف، وعرفوه بأنه (إقامة لفظ مقام لفظ آخر فى معنى عام واحد يجمعها جميعا) ومثلوا له بنحو: لم الشعث ورتق الفتق وأصلح الفاسد. وهذا يدل على أن مرادهم بالألفاظ فى تعريفهم للترادف الجمل والعبارات لا الكلمات المفردة.

وقسم آخر سموه بالمتوارد، وهو يقابل المترادف عند غيرهم، لأن المتوارد يتحقق عندهم عند وضع أكثر من اسم للذات الواحدة والشىء الواحد؛ كأن تسمى الأسد بالسبع والهزبر والليث، وكأن تسمى السيف بالمهند والصمصام والبتار والقاطع ...الخ

موقف علماء العربية المحدثين من الترادف:

لقد درس علماء العربية المحدثون ظاهرة الترادف **من هؤلاء:**

١ – الأستاذ على الجارم الذى درس ظاهرة الترادف فى مجلة مجمع اللغة العربية سنه ١٩٣٥م فى مقال مفصل أتى فيه بكل الآراء السابقة لعلماء العربية القدماء، ثم أتى برأيه الخاص، وهو أن الترادف موجود، غير أن أمثلته ليست كثيرة بالصورة التى أوردها بعض علماء العربية القدماء.

وفى رأيه أن المنكرين للترادف فى العربية مبالغون، والمثبتين له مبالغون أيضا؛ فمبالغة المنكرين تظهر فى ورود أمثلة حقيقية من المترادفات لا يمكن إنكارها، ومبالغة المثبتين للترادف تظهر فى إتيانهم بأمثلة يمكن تخريجها على وجه من الوجوه أو يمكن إخراجها من هذا الباب نهائيا؛ فمثلا توجد أمثلة لا حصر لها يمكن تأويلها على اختلاف فى المعنى الدقيق أو اختلاف اللهجات، وكذلك توجد أمثلة ليست من الترادف، ومع ذلك يذكرها المثبتون على أنها مترادفات؛ من ذلك نحو: كمح الدابة وكبحها، وهذا يراه الأستاذ الجارم ليس من الترادف فى شىء؛ لأنه لم يشتمل على كلمتين مختلفتين، وإنما اشتمل على كلمة واحدة فى الأصل والمعنى، هذه الكلمة هى (كمح أو كبح) وكل ما حدث هو نوع من التطور الصوتى فى تركيبها (بقلب الميم باء أو العكس) ويؤكد ذلك شدة القرب من الناحية الصوتية بين الميم والباء.

وينصح الأستاذ الجارم فى نهاية بحثه أن يقوم الدارسون ببحث دقيق لمعانى الكلمات المظنون أنها من الترادف، ربما يخرجونها من دائرة الترادف. وهذا المنهج طبقه الأستاذ الجارم على عدد من الأمثلة؛ حيث قام بدراسة دقيقة للمترادفات التى أطلقت على العسل وعددها خمسمائة وثمانون، فلم يجد إلا ثلاثة أسماء أو أربعة منها فقط هى مترادفات حقيقية، وأما الكلمات الباقية فهى صفات ذات معان مستقلة، ومن ثم لا تعد ترادفا فى نظره.

٢- الدكتور إبراهيم أنيس: درس الدكتور أنيس الترادف فى كتابه (فى اللهجات العربية)[١] دراسة مستفيضة بدأها بذكر آراء علماء العربية القدماء المختلفة، ثم ذكر شروط الترادف عند المحدثين ثم ذكر أنه لو طبقت هذه الشروط على اللغة العربية لاتضح لنا أن الترادف لا يكاد يوجد فى اللهجات العربية القديمة، وإنما يمكن أن يلتمس فى اللغة النموذجية الأدبية، ويدلل على ذلك بأن القرآن الكريم الذى نزل بهذه اللغة، والذى نطق به الرسول ﷺ نرى الترادف فى بعض ألفاظه ثم يذكر أمثلة على ذلك؛ منها: قوله تعالى: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ [٢] وقوله: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[٣].

- قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾[٤] وقوله: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾[٥].

ثم يرجع السبب فى إنكار الترادف عند القائلين به إلى أنهم كانوا من الاشتقاقيين الذين أسرفوا فى إرجاع كل كلمة من كلمات اللغة إلى أصل اشتقت منه، ويذكر أن ابن دريد فى كتابه الاشتقاق هو المسئول الأول عن هذه المدرسة؛ فقد حاول إرجاع جميع أسماء القبائل والأمكنة المشهورة إلى أصل اشتقت منه أو سميت من أجله، ثم جاء ابن فارس فبلغ بهذا الاشتقاق الذروة، وألف معجمه (مقاييس اللغة) واضعا نصب عينيه أن يجمع أكثر ما يمكن جمعه من كلمات يمكن أن تشتق لها أصول.

فإذا قلت لهم إن (القمح والبر) كلمتان مترادفتان، ربما قالوا لك: إن القمح من قمحه أى استفه، ولكن البر من أصل آخر معناه الصلة والخير !

---

(١) انظر: فى اللهجات العربية ١٧٤ – ١٨٤.

(٢) يوسف: ٩١.

(٣) البقرة: ٤٧، ١٢٢.

(٤) النساء: ١٨.

(٥) الأنعام: ٦١.

ويرى أن بعض الذين أنكروا الترادف كانوا من الأدباء النقاد الذين يستشفون فى الكلمات أمورا سحرية، ويتخيلون فى معانيها أشياء لا يراها غيرهم، فهم قوم شديدو الاعتزاز بألفاظ اللغة يتبنون الكلمات ويرعونها رعاية كبيرة، ينقبون عما وراء المدلولات سابحين فى عالم من الخيال يصور لهم من دقائق المعانى وظلالها ما لا يدركه إلا هم، ولا يقف عليه إلا أمثالهم.

الدكتور أنيس " يفرق بين النظرة التاريخية والنظرة الوصفية فى دراسة الترادف، وفى غيره بالطبع، وهو بهذا يحاول أن يفسر رأى المنكرين من العرب للترادف ورأى المثبتين له، فيقول: أن المنكرين للترادف قد نظروا إليه من الزاوية التاريخية؛ حيث إن هذه الكلمات فى القديم كانت لها معان مختلفة، ومن ثم لا ترادف فى المعنى الحقيقى. أما المثبتون له فقد نظروا إليه من الناحية الوصفية الخاصة بفترة معينة، وفى هذه الفترة المعينة (ولتكن الوقت الحاضر) قد تلاشت هذه الفروق فى المعانى بين الكلمات وتنوسيت، وعلى ذلك فالترادف موجود "[1].

ويرى الدكتور أنيس أن بعض علماء العربية أوردوا أمثلة للترادف هى فى الواقع وحقيقة الأمر ليست منه فى شىء، من ذلك: فلح الأرض وفلعها، ورأيته عن كثب وعن كثم، وبدأ وبدع.

الرأى عند الدكتور أنيس أن كل مثال من هذه الأمثلة ليس مكونا من كلمتين مترادفتين، وإنما هو يحتوى على كلمة واحدة، وكل ما حدث هو تغيير صوتى بسيط التطور.

٣ – ومن الذين درسوا الترادف من علماء العربية المحدثين الدكتور كمال بشر: حيث علق على كلام أولمان فى ترجمته لكتابه (دور الكلمة فى اللغة)[2]. بدأ الدكتور كمال بشر حديثه بالثناء على تناول أولمان لموضوع الترادف ثم ذكر

---

(١) دور الكلمة فى اللغة هامش ١٢١، ١٢٢.

(٢) انظر: دور الكلمة فى اللغة ١١٦ – ١٢٦.

آراء علماء العربية القدماء، ثم آراء علماء العربية المحدثين ثم أتبع ذلك بآراء بعض علماء الغرب، وختم الموضوع برأيه الخاص الذى يبين فيه أن الاختلاف الكبير، والاضطراب الظاهر فى هذه المسألة مرجعه إلى سببين رئيسيين: أولهما عدم الاتفاق بين الدارسين على المقصود بالترادف، بل إن بعضهم لم يكلف نفسه مؤنة تعريفه أو الإشارة إلى تعريف أورده غيره. أما السبب الثانى فهو اختلاف وجهات النظر أو اختلاف المناهج بين الدارسين ثم يبين أنه إذا تم التخلص من هذين السببين خلصنا بنتيجة واضحة قد تتفق فى النهاية أو لا تتفق مع ما ورد عن غيرنا من العلماء، ثم يختار تعريف أولمان للترادف، وهو: " المترادفات ألفاظ متحدة المعنى وقابلة للتبادل فيما بينها فى أى سياق " ويختار المنهج الوصفى، أى يدرس ظاهرة الترادف دراسة شاملة إحصائية عن طريق وصف الحاصل الموجود فى فترة معينة من الزمن بقطع النظر عن السابق واللاحق. ثم يحدد العوامل الأساسية للدراسة الوصفية فى **البحوث اللغوية، وهى:**

- تحديد بيئة الكلام المدروس، هل هى لهجة عربية واحدة أو اللغة العربية بوجه عام ؟
- تحديد الصيغة، أسلوب المثقفين مثلا أو أسلوب العمال، أو أسلوب العامة ... الخ.
- مراعاة الموقف والظروف والملابسات التى يقال فيها الكلام المدروس مع الاهتمام بوجه خاص بحال المتكلمين والسامعين والأشياء الموجودة فى الموقف.

بالضوابط السابقة يمكن النظر فى الترادف، موجود أم غير موجود؟ ثم ينهى دراسته بقوله: " بقى أن نذكر لك **شيئين مهمين:**

الأول: إذا نظرنا إلى الترادف نظرة عامة وبدون تحديد منهج معين فالترادف موجود ولا شك.

الثانى: إذا نظرنا إلى الترادف فى اللغة العربية قديمها وحديثها دون تحديد الفترة، فالترادف أيضا موجود، ولكن من الجائز تخريج بعض الأمثلة أو إخراجها منه ".

وأنني أتفق مع الدكتور كمال بشر فى المنهج الذى وضعه لدراسة الترادف؛ إذ إننا بهذا المنهج نستطيع أن نحكم الحكم العلمى الدقيق على الكلمات التى يقال إنها مترادفة.

موقف علماء الغرب من الترادف:

لقد درس علماء الغرب الترادف واختلفوا فى وقوعه من هؤلاء العلماء (أولمان) الذى عرف الترادف أولا بقوله: " والمترادفات هى ألفاظ متحدة المعنى، وقابلة للتبادل فيما بينها فى أى سياق"[1] ثم بين موقفه من الترادف التام، فقال: " والترادف التام – على الرغم من عدم استحالته – نادر الوقوع إلى درجة كبيرة؛ فهو نوع من الكماليات التى لا تستطيع اللغة أن تجود بها فى سهولة ويسر. فإذا ما وقع هذا الترادف التام، فالعادة أن يكون ذلك لفترة قصيرة محدودة؛ حيث إن الغموض الذى يعترى المدلول، والألوان أو الظلال المعنوية ذات الصبغة العاطفية أو الانفعالية التى تحيط بهذا المدلول لا تلبث أن تعمل على تحطيمه وتقويض أركانه – وكذلك سرعان ما تظهر بالتدريج فروق معنوية دقيقة بين الألفاظ المترادفة، بحيث يصبح كل لفظ منها مناسبا وملائما للتعبير عن جانب واحد فقط من الجوانب المختلفة للمدلول الواحد. كما أننا سنلاحظ فى الوقت نفسه أن ما يرتبط بهذه الألفاظ من عناصر عاطفية وتعبيرية وإيحائية خاصة سوف تأخذ فى الظهور والنمو ممتدة فى خطوط متباعدة. وإنا لنلمس نتائج هذا التفريق بين المترادفات فيما لو قابلنا كل لفظ بنظيره فى المجموعة الآتية من الأمثلة: السيف – الحسام، الجلوس – القعود، حلف – أقسم، تلا – قرأ ... وبالجملة سوف يتبين لنا أن معظم المترادفات ليست إلا أنصاف أو أشباه

---

(١) دور الكلمة فى اللغة ١٠٩.

مترادفات، وأنه لا يمكن استعمالها فى السياق الواحد، أو الأسلوب الواحد دون تمييز بينها. كما سيتضح لنا أن مدلولات هذه المترادفات متشابكة ومتداخلة بعضها فى بعض. وفى نهاية المطاف سوف يتأكد لنا أن هذه الألفاظ لا يمكن التبادل بينها إلا فى حدود ضيقة فقط "[١].

أما بلو مفيلد فلا يعترف بالترادف من أول الأمر حيث يرى أنه: " إذا اختلفت الصيغ صوتيا وجب اختلافها فى المعنى"[٢] ويقول هاريس موضحا رأى بلومفيلد: " إنه فى إطار اللغة الواحدة لا يوجد ترادف ؛ فالاختلاف الصوتى لا بد أن يصحبه اختلاف فى المعنى"[٣].

ومن المنكرين للترادف العالم اللغوى فيرث " وعدم اعتراف فيرث بالترادف يتمشى مع مذهبه الخاص بالمعنى اللغوى؛ فالمعنى اللغوى عنده عبارة عن مجموعة الخصائص والمميزات اللغوية للكلمة أو العبارة أو الجملة. ومن الطبيعى أن تكون المميزات الصوتية إحدى هذه المميزات والخصائص، فإذا اختلفت من كلمة إلى أخرى (كما هو الحال فى المترادفات) وجب اختلاف الكلمتين فى المعنى أيضا، والنتيجة الحتمية لهذا هى عدم وجود الترادف "[٤].

بعد معرفة موقف العلماء من ظاهرة الترادف نأتى إلى أسباب الترادف.

أسباب كثرة الترادف فى العربية الفصحى[٥]:

١ – تعدد الشىء الواحد فى اللهجات المختلفة؛ وذلك راجع إلى طول احتكاك لغة قريش باللهجات العربية الأخرى، مما سهل نقل طائفة كبيرة من مفردات هذه اللهجات إليها، يقول ابن جنى: " وإذا كثر على المعنى الواحد ألفاظ

---

(١) دور الكلمة فى اللغة ١٠٩، ١١٠.

(٢) دور الكلمة فى اللغة هامش ١٢٣، وانظر : علم الدلالة للدكتور أحمد مختار عمر ٢٢٤.

(٣) علم الدلالة ٢٢٤.

(٤) دور الكلمة فى اللغة هامش ١٢٣.

(٥) انظر: المزهر ٤٠٥/١، وفقه اللغة لعلى عبد الواحد وافى ١٧٢ ــ ١٧٣ وفصول فى فقه العربية ٣١٦ – ٣٢٣، وعلم اللغة بين القديم والحديث ٢٩٨ – ٣٠٠.

مختلفة، فسمعت فى لغة إنسان واحد، فإن أحرى ذلك أن يكون قد أفاد أكثرها أو طرفا منها، من حيث كانت القبيلة الواحدة، لا تتواطأ فى المعنى الواحد على ذلك كله ... وكلما كثرت الألفاظ على المعنى الواحد كان ذلك أولى بأن تكون لغات لجماعات، اجتمعت لإنسان واحد، من هنا ومن هنا"[١] ثم يؤيد كلامه بما رواه عن الأصمعى حيث يقول:"اختلف رجلان فى الصقر، فقال أحدهما: الصقر (بالصاد)، وقال الآخر: السقر (بالسين)، فتراضيا بأول وارد عليهما فحكيا له ما هما فيه. فقال: لا أقول كما قلتما ؛ إنما هو الزقر"[٢].

وقال الأصفهانى: " وينبغى أن يحمل كلام من منع على منعه فى لغة واحدة، فأما فى لغتين فلا ينكره عاقل "[٣] وقال أهل الأصول: " أن يكون من واضعين، وهو الأكثر بأن تضع إحدى القبيلتين أحد الاسمين، والأخرى الاسم الآخر للمسمى الواحد من غير أن تشعر إحداهما بالأخرى، ثم يشتهر الوضعان، ويخفى الواضعان، أو يلتبس وضع أحدهما بوضع الآخر"[٤].

٢ – أن يكون للشىء الواحد فى الأصل اسم واحد، ثم يوصف بصفات مختلفة؛ باختلاف خصائص ذلك الشىء، ثم تنوسيت الوصفية بالتدريج وغلبت الاسمية. وهذا السبب يفسر لنا أسماء السيف، والعسل وغيرهما، وقد فطن إلى هذا أبو على الفارسى فى حواره مع ابن خالويه أمام سيف الدولة.

٣ – المجاز: قد تستعمل بعض الألفاظ فى معان مجازية، فتتفق مع بعض الألفاظ الأخرى فى معانيها الحقيقية، ثم ينسى المجاز حتى يظن أنها حقائق، فتصبح تلك الألفاظ مترادفة.

---

(١) الخصائص ١/٣٧٣، ٣٧٤.

(٢) الخصائص ١/٣٧٤.

(٣) المزهر فى علوم اللغة ١/٤٠٥.

(٤) المزهر فى علوم اللغة ١/٤٠٥، ٤٠٦.

٤ – التطور الصوتى فى اللفظة الواحدة: قد تتطور بعض أصوات الكلمة الواحدة على ألسنة الناس فتنشأ صور أخري للكلمة، وحينئذ تعد الصور المختلفة مترادفات لمسمى واحد.

من ذلك قول ابن جنى: " هتلت السماء وهتنت: هما أصلان ألا تراهما متساويين فى التصرف؛ يقولون: هتنت السماء تهتن تَهتانا، وهتلت تهتل تَهتالا، وهى سحائب هتَّن وهتَّل"(١).

وقال ابن خالويه: " قال ابن دريد: دعه، ودحه بمعنى واحد وامرأة دعوع، ودحوح، وأنشد [الوافر]:

قبيح بالعجوز إذا تغدت ... من البرنى واللبن الصريح

تَبَغِّيها الرجال وفى صلاها ... مواقعُ كل فَيْشَلَة دَحُوحِ

وأنشد ثعلب عن ابن الأعرابى [الرجز]:

قد أغتدى والليل فى حريمه

معسكرا فى الغر من نجومه

والصبح قد نسم فى أديمه

يدعه بضفتى حيزومه

دع الربيب لحيتى يتيمه"(٢).

٥ – الاستعارة من اللغات الأجنبية التى كانت تجاور العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام؛ مثل: الدمقس والإستبرق، كلمتان فارسيتان يطلقان على نوع من أنواع الحرير.

ومثل ذلك كلمة (دستفشار) من أسماء العسل يقول ابن منظور " والدستفشار: كلمة فارسية معناها ما عصرته الأيدى "(٣).

---

(١) الخصائص ٨٢/٢.

(٢) إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ٢٠٤.

(٣) لسان العرب [بكر] ٣٣٣/١.

وقد أتى بهذه الألفاظ إلى العربية الشعراء أمثال الأعشى وغيره " ذكر أبو حاتم أن رؤبة بن العجاج، والفصحاء كالأعشى وغيره ربما استعاروا الكلمة من كلام العجم للقافية لتستطرف، ولا يصرفونه، ولا يشتقون منه الأفعال، ولا يرمون بالأصلى، ويستعملون المستطرف "[1].

شروط الترادف عند المحدثين[2]:

١ – الاتفاق فى المعنى بين الكلمتين اتفاقا تاما، على الأقل فى ذهن الكثرة الغالبة لأفراد البيئة الواحدة.

٢ – الاتحاد فى البيئة اللغوية؛ أى أن تكون الكلمتان تنتميان إلى لهجة واحدة. أو مجموعة منسجمة من اللهجات؛ يعنى يجب ألا نلتمس الترادف من لهجات العرب المتباينة؛ فالترادف بمعناه الدقيق هو أن يكون للرجل الواحد فى البيئة الواحدة الحرية فى استعمال كلمتين أو أكثر فى معنى واحد، يختار هذه حينا، ويختار تلك حينا آخر، وفى كلتا الحالتين لا يكاد يشعر بفرق بينهما إلا بمقدار ما يسمح به مجال القول أو الأسلوب.

ويذكر الدكتور أنيس أن المغالين فى الترادف لم يفطنوا إلى مثل هذا الشرط، بل اعتبروا كل اللهجات وحدة متماسكة، وعدوا كل الجزيرة العربية بيئة واحدة.

٣ – الاتحاد فى العصر؛ أى النظر إلى المترادفات فى عهد خاص وزمن معين، وهذه الدراسة تسمى الدراسة الوصفية ولا يصح النظر إلى الألفاظ المترادفة نظرة تاريخية.

٤ – ألا يكون أحد اللفظين نتيجة تطور صوتى للفظ الآخر؛ فحين نقارن بين (الجثل والجفل) بمعنى النمل، نلحظ أن إحدى الكلمتين يمكن أن تعتبر أصلا والأخرى تطور لها ؛(فالجثل والجفل) ليست فى الحقيقة إلا كلمة واحدة.

---

(١) المعرب للجواليقى ٩.

(٢) انظر: فى اللهجات العربية ١٧٨، ١٧٩، فصول فى فقه العربية ٣٢٢، ٣٢٣، وعلم الدلالة ٢٢٦، ٢٢٧.

وهكذا يتبين لنا مغالاة أولئك الذين اعتبروا مثل هذه الكلمات من المترادفات.

يذكر الدكتور أنيس أن الشروط السابقة لو طبقت على اللغة العربية لاتضح أن الترادف لا يكاد يوجد فى اللهجات العربية القديمة، ويمكن أن يلتمس فى اللغة النموذجية الأدبية.

فوائد الترادف:

للترادف فوائد منها:

١ – " التوسع فى سلوك طرق الفصاحة، وأساليب البلاغة فى النظم والنثر، وذلك لأن اللفظ الواحد قد يتأتى باستعماله مع لفظ آخر السجع والقافية، والتجنيس والترصيع، وغير ذلك من أصناف البديع، ولا يتأتى ذلك إلا باستعمال مرادفه مع ذلك اللفظ "(١).

٢ – كثرة الوسائل للإخبار عما فى النفس.

٣ – من المترادفات ألفاظ تبدو فيها خاصة لغوية رائعة هى إظهار ألوان المعانى وظلالها، وهذه الميزة تظهر فى كثير من الألفاظ الدالة على الشىء منظورا إليه فى مختلف درجاته وأحواله وتفاوت صوره(٢).

٤ – يمكن بهذه المترادفات " أن يأتى الشاعر بالاسمين المختلفين للمعنى الواحد، فى مكان واحد، تأكيدا ومبالغة ؛ كقول الحطيئة [الطويل]:

ألا حبذا هند وأرض بها هند وهند أتى من دونها النأى والبعد(٣)

٥ – المترادفات تعين من به عيب فى نطق حرف ما فى كلمة أن يأتى بمرادفها؛ وهذا ما سجله لنا التاريخ عن واصل بن عطاء زعيم المعتزلة؛ حيث كان ألثغ فى صوت الراء، فلم يحفظ عنه أنه نطق بهذا الصوت، ولولا المترادفات تعينه على ذلك لما استطاع من ذلك ما يروى عنه أنه قال

---

(١) المزهر فى علوم اللغة ٤٠٦/١.

(٢) انظر: علم اللغة بين القديم والحديث ٢٩٧.

(٣) المزهر فى علوم اللغة ٤٠٦/١.

فى بشار الأعمى: " أما لهذا الأعمى الملحد المشنف المكنى بأبى معاذ من يقتله. أما والله لولا أن الغيلة سجية من سجايا الغالية، لبعثت إليه من يبعج بطنه على مضجعه، ويقتله فى جوف منزله، وفى يوم حفله، ثم كان لا يتولى ذلك منه إلا عقيلى أو سدوسى.

قال إسماعيل بن محمد الأنصارى، وعبد الكريم بن روح الغفارى: قال أبو حفص عمر بن أبى عثمان الشمرى: ألا تريان كيف تجنب الراء فى كلامه هذا وأنتما للذى تريان من سلامته وقلة ظهور التكلف فيه لا تظنان به التكلف، مع امتناعه من حرف كثير الدوران فى الكلام.

ألا تريان أنه حين لم يستطع أن يقول: بشار، وابن برد، والمرعث جعل المشنف بدلا من المرعث، والملحد بدلا من الكافر ؛ وقال: لولا أن الغيلة سجية من سجايا الغالية، ولم يذكر المنصورية[1]،ولا المغيرية، لمكان الراء؛ وقال: لبعثت من يبعج بطنه، ولم يقل: لأرسلت إليه؛ وقال: على مضجعه، ولم يقل: على فراشه.

وكان إذا أراد أن يذكر البر قال: القمح أو الحنطة. والحنطة لغة كوفية، والقمح لغة شامية. هذا وهو يعلم أن لغة من قال بر، أفصح من لغة من قال: قمح أو حنطة "[2].

---

(١) المنصورية إحدى فرق الشيعة الغالية، وهم أصحاب منصور العجلى والمغيرية فرقة من غلاة الشيعة أيضا، وهم أصحاب المغيرة بن سعيد العجلى.

(٢) البيان والتبيين للجاحظ ١٨/١، ١٩.

ثانياً: المشترك اللفظى

عرف الأصوليون اللفظ المشترك بأنه: " اللفظ الواحد الدال على معنيين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة " [١]. وبأسلوب آخر: هو دلالة لفظة واحدة على معنيين أو أكثر على التساوى.

ومن أمثلة المشترك اللفظى التى ذكرها علماء اللغة[٢]العم؛ فالعم: أخو الأب، والعم: الجمع الكثير، قال [الراجز]:

يا عامر بن مالك يا عما أفنيت عما وجبـــرت عما

فالعم الأول أراد به يا عماه، والعم الثانى أراد به أفنيت قوما وجبرت آخرين.

- والنوى؛ فالنوى: الدار، والنوى: النية، والنوى: البعد.
- والأرض: فهى الأرض المعروفة، وكل ما سفل فهو أرض، والأرض: أسفل قوائم الدابة، والأرض: النفضة والرعدة.

قال ابن عباس فى يوم زلزلة: أزلزلت الأرض أم بى أرض، والأرض: الزكام، والأرض: مصدر أرضت الخشبة تؤرض أرضا فهى مأروضة إذا أكلتها الأرضة.

ويقول الثعالبى: " من ذلك قولهم: قضى بمعنى حتم؛ كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ﴾ [٣]. وقضى بمعنى أمر؛ كقوله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾[٤] أى: أمر، ويكون قضى بمعنى صنع؛ كقوله تعالى: ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾[٥]. أى فاصنع ما أنت صانع، ويكون قضى بمعنى حكم؛ كما يقال للحاكم

---

(١) المزهر فى علوم اللغة ٣٦٩/١.

(٢) انظر: المزهر فى علوم اللغة ٣٧٠/١ – ٣٨٤.

(٣) سبأ ١٤.

(٤) الإسراء ٢٣.

(٥) طه ٧٢.

قاض. وقضى بمعنى أعلم؛ كقوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ﴾[1] أى أعلمناهم. ويقال للميت قضى إذا فرغ من الحياة، وقضاء الحاجة معروف، ومنه قوله تعالى: ﴿إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا﴾[2].

ومن هذا الباب قوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾[3] أى الصلاة المعروفة وقوله عز وجل: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾[4]. أى ادع لهم وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[5] فالصلاة من الله الرحمة، ومن الملائكة الاستغفار ومن المؤمنين الثناء والدعاء. والصلاة الدين من قوله تعالى فى قصة شعيب: ﴿أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ﴾[6] أى دينك. والصلاة كنائس اليهود، وفى القرآن:﴿لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ﴾[7]"[8].

– ومن الألفاظ المشتركة فى معان كثيرة لفظ العين؛ قال الأصمعى فى كتاب الأجناس: العين: النقد من الدراهم والدنانير ليس بعرض، والعين: مطر أيام لا يقلع؛يقال: أصاب أرض بنى فلان عين، والعين: عين الإنسان التى ينظر بها. والعين: عين البئر، وهو مخرج مائها.

والعين: القناة التى تعمل حتى يظهر ماؤها. والعين: الفوارة التى تفور من غير عمل. والعين: ما عن يمين القبلة قبلة أهل العراق، ويقال: نشأت السماء من

---

(١) الإسراء ٤.
(٢) يوسف ٦٨.
(٣) الكوثر ٢.
(٤) التوبة ١٠٣.
(٥) الأحزاب ٥٦.
(٦) هود ٨٧.
(٧) الحج ٤٠.
(٨) فقه اللغة وسر العربية ٢٤٥.

العين. والعين: عين الميزان؛ وهو ألا يستوى. والعين: عين الدابة والرجل؛ وهو الرجل نفسه، أو الدابة نفسها، أو المتاع نفسه، يقال: لا أقبل منك إلا درهما بعينه؛ أى لا أقبل بدلا، وهو قول العرب: لا أتبع أثرا بعد عين.

والعين: عين الجيش الذى ينظر لهم. والعين: عين الركبة ٠٠ والعين: عين النفس أن يعين الرجل الرجل ينظر إليه فيصيبه بعين. والعين: السحابة التى تنشأ من القبلة قبلة أهل العراق. والعين: عين اللصوص ٠٠٠ "[١].

وقد نظم الشعراء الشعر المشتمل على قافية واحدة، لكن معناها مختلف؛ من ذلك قول الشاعر [الرجز]:

يا ويح قلبى من دواعى الهوى إذ رحل الجيران عند الغروبْ

أتبعتهم طرفى وقد أزمعوا ودمع عينى كفيض الغروبْ

كانوا وفيهم طَفلة حرة تفتر عن مثل أقاحى الغروبْ

فالغروب الأول: غروب الشمس، والثانى: جمع غرب؛ وهو الدلو العظيمة المملوءة، والثالث: جمع غرب؛ وهى الوهاد المنخفضة "[٢].

بل لقد أتى بعضهم بست كلمات فى ثلاثة أبيات؛ إذ يقول [الرجز]:

"لقد رأيت هذريا جَلْسا يقود من بطن قديد جَلْسا

ثم رقى من بعد ذلك جَلْسا يشرب فيه لبنا جَلْسا

مع رفقة لا يشربون جَلْسا ولا يؤمون لهم جَلْسا

جلس الأول: رجل طويل، والثانى: جبل عال، والثالث: جبل، والرابع: عسل، والخامس: خمر. والسادس: نجد"[٣].

---

(١) المزهر فى علوم اللغة ١/٣٧٢، ٣٧٣.

(٢) المزهر فى علوم اللغة ١/٣٧٦.

(٣) المزهر فى علوم اللغة ١/٣٧٦، ٣٧٧.

تأليف القدماء فى المشترك اللفظى[1]:

لقد ظهرت فى اللغة العربية منذ وقت مبكر كتب كثيرة تعالج ظاهرة المشترك اللفظى؛ منها ما اتجه إلى القرآن الكريم ومنها ما أتجه إلى الحديث الشريف، ومنها ما اتجه إلى اللغة العربية ككل.

وأقدم الكتب التى وصلت إلينا هى التى اهتمت بدراسة المشترك اللفظى فى القرآن الكريم؛ **من ذلك:**

- الوجوه والنظائر أو الأشباه والنظائر فى القرآن الكريم لمقاتل بن سليمان البلخى (المتوفى سنة ١٥٠ هـ) وقد حققه الدكتور عبد الله شحاتة.
- الوجوه والنظائر فى القرآن لهارون بن موسى الأزدى الأعور (المتوفى سنة ١٧٠ هـ).
- الوجوه والنظائر للحسين بن محمد الدامغانى.
- معترك الأقران فى إعجاز القرآن للسيوطى، خصص فيه القسم الأعظم للمشترك اللفظى.

ومفهوم كلمة (وجوه) عند مقاتل وهارون والدامغانى وغيرهم تعنى ما يعنيه اللغويون بالمشترك اللفظى " وقد جاء عن أبى الدرداء ﷺ لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوها كثيرة. رواه أحمد؛ أى اللفظ الواحد يحتمل معانى متعددة"[2].

- ومن الكتب المبكرة التى وصلتنا وعالجت قضية المشترك اللفظى فى القرآن الكريم (كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد) للمبرد (المتوفى سنة ٢٨٥ هـ).

ومن الكتب التى اهتمت بالمشترك اللفظى فى الحديث الشريف (كتاب الأجناس من كلام العرب وما اشتبه فى اللفظ واختلف فى المعنى) لأبى

---

(١) انظر: علم الدلالة ١٤٧ – ١٥٣.

(٢) البرهان فى علوم القرآن للزركشى ٢٠٨/٢.

عبيد القاسم بن سلام (المتوفى سنة ٢٢٤ هـ) ولم يصل من هذا النوع إلينا إلا هذا الكتاب.

- ومن الكتب التى اهتمت بدراسة المشترك اللفظى فى اللغة العربية ككل (كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه) لأبى العميثل الأعرابى عبد الله بن خليد (المتوفى سنة ٢٤٠ هـ).

وكتاب (المنجد فى اللغة) لكراع على بن الحسن الهنائى (المتوفى سنة ٣١٠ هـ).

- وكتاب (ما اتفق لفظه واختلف معناه) لأبى السعادات هبة الله بن على بن محمد بن على الحسنى المعروف بابن الشجرى (المتوفى سنة ٥٤٢هـ).

موقف علماء اللغة القدماء من المشترك:

الأكثرون من علماء اللغة يرون وقوع المشترك اللفظى؛ لنقل أهل اللغة ذلك فى كثير من الألفاظ؛ من هؤلاء العلماء: الخليل، وسيبويه، والأصمعى، وأبو عبيدة، وأبو زيد الأنصارى، والمبرد، وابن فارس، وابن خالويه، والثعالبى، والسيوطى.

وأنكره بعضهم، وتأول ما ورد ويمثل هذا الفريق ابن درستويه الذى يقول فى شرح الفصيح وقد ذكر لفظة (وجد) واختلاف معانيها: " هذه اللفظة من أقوى حجج من يزعم أن من كلام العرب ما يتفق لفظه ويختلف معناه؛ لأن سيبويه ذكره فى أول كتابه، وجعله من الأصول المتقدمة؛ فظن من لم يتأمل المعانى، ولم يتحقق الحقائق أن هذا لفظ واحد قد جاء لمعان مختلفة، وإنما هذه المعانى كلها شىء واحد؛ و إصابة الشىء خيرا كان أو شرا ... "[1].

وقد بين ابن درستويه الأسباب التى تدعو إلى نشوء المشترك اللفظى فى اللغة يقول: " فلو جاز وضع لفظ واحد للدلالة على معنيين مختلفين، أو أحدهما ضد للآخر لما كان ذلك إبانة بل تعمية وتغطية؛ ولكن قد يجىء الشىء النادر من

---

(١) المزهر فى علوم اللغة ٣٨٤/١.

هذا لعلل، كما يجيء فعل وأفعل، فيتوهم من لا يعرف العلل أنهما لمعنيين مختلفين، وإن اتفق اللفظان، والسماع فى ذلك صحيح من العرب؛ فالتأويل عليهم خطأ وإنما يجيء ذلك فى لغتين متباينتين، أو لحذف واختصار وقع فى الكلام، حتى اشتبه اللفظان، وخفى سبب ذلك على السامع، وتأول فيه الخطأ "[1].

وقد نظر أبو على الفارسى إلى المشترك اللفظى نظرة معتدلة لم يغال فيها فى إنكار المشترك مغالاة ابن درستويه، ولا يبالغ فى جميع صوره مبالغة الفريق الأول؛ فهو يقول: " اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين ينبغى ألا يكون قصدا فى الوضع ولا أصلا، ولكنه من لغات تداخلت، أو أن تكون لفظة تستعمل لمعنى ثم تستعار لشيء فتكثر وتصير بمنزلة الأصلى "[2].

موقف علماء اللغة المحدثين من المشترك اللفظى:

لقد درس علماء اللغة المحدثون المشترك اللفظى؛ من هؤلاء العلماء الدكتور إبراهيم أنيس الذى درسه فى كتابه (فى اللهجات العربية) وفيه عرض لآراء علماء العربية القدماء من مؤيدين للمشترك ومنكرين له ثم عقب بقوله: " ويظهر أن كلا الفريقين قد أسرف فيما ذهب إليه، وبعد عن جادة الصواب فى بحثه، إذ لا معنى لإنكار المشترك اللفظى مع ما روى لنا فى الأساليب العربية الصحيحة من أمثلة كثيرة لا يتطرق إليها الشك.

كذلك لا معنى للمغالاة فى رواية أمثلة له مع ما فى هذا من التعسف والتكلف – ولكن كما اختلف القدماء فى ورود الترادف اختلفوا أيضا فى ورود المشترك اللفظى؛ وذلك لأن كل فريق قد نظر إلى الكلمات ومعانيها من زاوية خاصة؛ فالذين تأولوا أمثلة المشترك اللفظى على أنها كلها من الحقيقة والمجاز، قد نظروا إليها نظرة تاريخية، وتتبعوها فى عصورها المختلفة، وتلك هى الطريقة التى سميناها Diachronic أما الآخرون فنظرتهم وصفية تزامنية؛ إذ بحثوا فى

---

(١) المزهر فى علوم اللغة ٣٨٥/١.

(٢) دراسات فى فقه اللغة للدكتور صبحى الصالح نقلا عن المخصص ٢٥٩/٣.

الكلمات ومعانيها فى عصر خاص، وتلك هى النظرة التى سميناها Synchronic"[1].

ثم يذكر الدكتور أنيس أن المشترك اللفظى وقع فى كل لغة " وقد دعت عوامل متعددة لوقوعه. فكما تتطور أصوات الكلمات وتتغير، قد تتطور معانيها وتتغير، مع احتفاظها بأصواتها وتطور المعانى وتغيرها مع الاحتفاظ بالأصوات، هو الذى ينتج لنا كلمات اشتركت فى الصورة واختلفت فالمعنى "[2]، ويتفق الدكتور أنيس مع ابن درستويه؛ حيث يقول: " وقد كان ابن درستويه محقا حين أنكر معظم تلك الألفاظ التى عدت من المشترك اللفظى، واعتبرها من المجاز؛ فكلمة الهلال حين تعبر عن هلال السماء، وعن حديدة الصيد التى تشبه فى شكلها الهلال، وعن قلامة الظفر التى تشبه فى شكلها الهلال، وعن هلال النعل الذى يشبه فى شكله الهلال، لا يصح إذا أن تعد من المشترك اللفظى؛ لأن المعنى واحد فى كل هذا وقد لعب المجاز دوره فى كل هذه الاستعمالات. ذلك لأن المشترك اللفظى الحقيقى إنما يكون حين لا نلمح أى صلة بين المعنيين؛ كأن يقال لنا مثلا: إن الأرض هى الكرة الأرضية، وهى أيضا الزكام! وكأن يقال لنا: إن الخال هو أخو الأم، وهو الشامة فى الوجه، وهو الأكمة الصغيرة.

ومثل هذه الألفاظ التى اختلف فيها المعنى اختلافا بينا قليلة جدا بل نادرة، ولا تكاد تجاوز أصابع اليد عدا"[3].

ويرجع الدكتور صبحى الصالح المشترك اللفظى فى اللغة العربية إلى تغاير البيئات اللغوية، وتفاوت المستعملين فى مدى ولوعهم بالمجاز أو إيثارهم الحقيقة[4].

---

(١) فى اللهجات العربية ١٩٢، ١٩٣.

(٢) فى اللهجات العربية ١٩٣.

(٣) دلالة الألفاظ ٢١٤.

(٤) انظر: دراسات فى فقه اللغة ٣٠٢.

ويقر الدكتور صبحى الصالح بوقوع المشترك اللفظى فى العربية ويجعله " مندرجا تحت اتساع العربية فى التعبير على أنه خصيصة لا تنكر من خصائصها الذاتية"[١].

أما الدكتور أحمد مختار عمر فقد درس المشترك اللفظى، وذكر رأى الدكتور أنيس فى المشترك اللفظى وعلق عليه بقوله:

١- "إنه رغم تضييقه الشديد لمفهوم المشترك اللفظى فى كتابه (دلالة الالفاظ) وقصره المشترك الحقيقى على كلمات لا تجاوز أصابع اليد، والمشترك بمعناه الواسع على كلمات لا تجاوز العشرات نجده فى كتابه (فى اللهجات العربية) يصرح بأن المعاجم العربية قد امتلأت بها (ص ٢٠١) وأن ما ينشأ عن التطور الصوتى يبلغ المئات (ص٢٠٤).

٢- إنه لم يستقر على وضع واحد بالنسبة لكلمات المشترك التى نشأت عن تطور صوتى؛ فمرة اعتبرها من المشترك ومرة عد من الإسراف والمغالاة مجاراة المعاجم العربية فى اعتبارها من المشترك، وذكر أن الأقرب إلى الصواب أنها من قبيل التطور الصوتى.

٣- إنه ادعى أن القدماء لم يشيروا إلى التطور الصوتى كعامل من عوامل نشوء المشترك، ولم يفطنوا إلى إمكان حدوثه.

٤- إنه مزج بين المنهجين الوصفى والتاريخى فى علاج هذه الظاهرة وكان الأولى أن يقتصر على أحدهما"[٢].

والدكتور أحمد مختار عمر ليس منكرا لوقوع المشترك اللفظى بدليل ذكره الآثار الإيجابية للمشترك اللفظى والآثار السلبية له[٣].

وينكر الدكتور رمضان عبد التواب وجود المشترك اللفظى فى واقع الأمر، إلا

---

(١) دراسات فى فقه اللغة ٣٠٢.

(٢) علم الدلالة ١٧٩.

(٣) انظر: علم الدلالة ١٧٩ – ١٨٨.

فى معجم لغة من اللغات أما فى نصوص هذه اللغة واستعمالاتها، فلا وجـود إلا لمعنى واحد من معانى هذا المشترك اللفظى. ويستدل على ذلك بنصوص لكل من أولمان فى كتابه دور الكلمة فى اللغة، وفندريس فى كتابه اللغة[١].

ثم يذكر بعد ذلك أن كثرة المشترك اللفظى فى العربية أدت "إلى ذيوع ظاهرة التورية فيها، وهى عبارة عن استخدام الألفاظ المشتركة، فى معان غير متبادرة منها. وكذلك استخدمه بعض الناس حيلة للخروج من اليمين المكره عليها فقد ظن هؤلاء إذا أقسموا يمينا على شئ، أنهم يرضون ضمائرهم بالقصد إلى معنى غير ما يفهمه السامع؛ فإذا قال إنسان: والله ما سألت فلانا حاجة قط، فإنه يقصد فـى نفسه من لفظ (حاجة) معنى آخر غير الشائع لهذه اللفظة. والحاجة: ضرب مـن الشجر له شوك، وهذا هو المعنى الغامض، الذى يقصد إليه الحالف هنـا. وقد ألف ابن دريد كتابه (الملاحن) لهذا الغرض، وجمع فيه نحوا من أربعمائـة كلمة من كلمات الحيل فى القسم، من المشترك اللفظى فى العربية"[٢].

وأرى أن المشترك اللفظى واقع فى اللغة لكن دون توسع ومبالغة، والـسياق هو الذى يعين أحد المعانى المشتركة للفظ الواحد.

موقف علماء الغرب من المشترك اللفظى:

يقر علماء الغرب بوقوع المشترك اللفظى فى اللغة، غير أنهم يقـررون أن اللفظ الواحد له معنى واحد فى السياق يقول فندريس:" فاشتراك اللفظ فى أكثـر من معنى L'homonymie يوجد مستقلا عما كان بـين الكلمـات مـن صـلات تاريخية. أكثر من ذلك أننا حينما نقول بأن لإحدى الكلمات أكثر من معنى واحد فى وقت واحد نكون ضحايا الانخداع إلى حد ما. إذ لا يطفو فى الـشعور مـن المعانى المختلفة التى تدل عليها إحدى الكلمات إلا المعنى الـذى يعينـه سـياق النص.

---

(١) فصول فى فقه العربية ٣٣٤ – ٣٣٥.

(٢) فصول فى فقه العربية ٣٣٥.

أما المعانى الأخرى جميعها فتمحى وتبدد ولا توجد إطلاقا. فنحن فى الحقيقة نستعمل ثلاثة أفعال مختلفة عندما نقول (الخياط يقص الثوب) أو (الخبر الذى يقصه الغلام صحيح) أو (البدوى خير من يقص الأثر).

... فى التسليم بأن للكلمات معنى أساسيا ومعانى ثانوية صادرة عن الأول إثارة لمسألة وجهة النظر التاريخية. ووجهة النظر التاريخية تلك لا قيمة لها هنا ربما رأى الشخص الذى يشمل اللغة بأسرها فى تطورها واتساعها بنظرة واحدة أن الريشة التى من حديد جاءت من ريشة الأوزة، فهى عنده كلمة واحدة أخذت دلالتين مختلفتين على مرور الزمن، لذلك يجدر بقاموس يفخر بتتبعه لخط سير المعانى أن يضع تحت كلمة ريشة، معنى الريشة التى من حديد بعد معنى ريشة (الأوزة)، ولكن الفرنسى الذى يتكلم لغته اليوم، لا يرى فى هذين الاستعمالين فى الواقع إلا كلمتين مختلفتين ولا يوجد شخص واحد يحاول أن يشكو من الغموض عند سماعه جملتين من قبيل (يعيش من كد ريشة) و(اجتث له ريشة). وكل واحد يفهم دون تردد أن الكلام فى الجملة الأولى عن أحد الكتاب، وفى الثانية عن أحد الطيور؛ فالكلمتان مختلفتان كجميع المشتركات الأخرى، وفى اللغة كلمتان من (ريشة) تقابلان المعنيين السابقين"[1].

ويقول أولمان: " كثير من كلماتنا له أكثر من معنى، غير أن المألوف هو استعمال معنى واحد فقط من هذه المعانى فى السياق المعين؛ فالفعل (أدرك) مثلا، إذا انتزع من مكانه فى النظم يصبح غامضا غير محدد المعنى: هل معناه: لحق به أو عاصره أو أنه يعنى رأى أو بلغ ؟ إن التركيب الحقيقى المنطوق بالفعل هو وحده الذى يمكنه أن يجيب عن هذا السؤال"[2].

ويقول أيضا: " إذا تصادف أن اتفقت كلمتان أو أكثر فى أصواتها اتفاقا تاما فإن مثل هذه الكلمات لا يكون لها معنى ألبتة دون السياق الذى تقع فيه؛ ففى

---

(١) اللغة ٢٢٧، ٢٢٨.

(٢) دور الكلمة فى اللغة ٦٥.

حالة الفعل (أدرك) ... كان هناك على الأقل قدر ما من أصل مشترك بين المعانى المختلفة.

ولكن اتحاد النطق فى حالة الفعل see و see فى العبارة The bishop's see و Sea إنما هو مجرد مصادفة، والسياق هو وحده الذى يستطيع أن يكشف لنا عن المقصود من هذه الكلمات الثلاث"(١).

من كلام أولمان يتضح أن المشترك اللفظى عنده [homonymy] " يتضمن وجود أكثر من كلمة؛ فالكلمة See الأولى – ومعناها (يرى) كلمة مستقلة و See فى العبارة The bishop's see كلمة أخرى، ومعناها (أبرشية الأسقف أو عرشه) و Sea بمعنى (بحر) كلمة ثالثة. وهذا هو الرأى عند أولمان على الرغم من أن الأمثلة الثلاثة جميعا تنطق بصورة واحدة، وكذلك الحال عنده فى كل أمثلة المشترك اللفظى"(٢).

ودلالة اللفظ المشترك فى النص الواحد هل يدل على أكثر من معنى؟ قضية ناقشها علماء أصول الفقه، وبينوا أن الأصل فى اللفظ المشترك أن يدل على معنى واحد فقط تحدده القرائن، بيد أنهم اختلفوا فى جواز أن يراد به فى النص الواحد الدلالة على أكثر من معنى؛ " فذهب الشافعى والقاضى أبو بكر وأبو على الجبائى والقاضى عبد الجبار بن أحمد، والقاضى جعفر والشيخ حسن، وبه قال الجمهور؛ وكثير من أئمة أهل البيت إلى جوازه"(٣). أى " جواز استعماله فى جميع معانيه، فيكون كالعام فى شموله كل ما يدل عليه"(٤).

" وذهب أبو هاشم وأبو الحسن البصرى والكرخى إلى امتناعه"(٥).

وإنى أرى رأى من قالوا إنه لا يراد به إلا معنى واحد فى سياق الاستعمال.

---

(١) دور الكلمة فى اللغة ٦٥.

(٢) دور الكلمة فى اللغة هامش ص ٦٦.

(٣) إرشاد الفحول للشوكانى ٢٠.

(٤) دراسة المعنى عند الأصوليين ٩٣.

(٥) إرشاد الفحول ٢٠.

عوامل نشأة المشترك اللفظى[1]:

لنشأة المشترك اللفظى عوامل ذكرها العلماء نجملها **فيما يأتى:**

(١) **الاستعمال المجازى:** ومن الأمثلة عليه كلمة (العين)؛ حيث إنها تطلق فى الأصل على عضو الإبصار فى الإنسان والحيوان، واستعمالها على الجاسوس وربيئة الجيش من قبيل المجاز.

وقد قسم بعض المتأخرين المعانى التى تدل عليها العين تقسيما حسنا فقال: "ما يطلق عليه العين ينقسم **قسمين؛ أحدهما:** أن يرجع إلى العين الناظرة، **والثانى:** ليس كذلك؛ فالأول على **قسمين:** أحدهما بوجه الاشتقاق والثانى بوجه التشبيه؛ فأما الذى بوجه الاشتقاق فعلى قسمين: مصدر وغير مصدر؛ فالمصدر ثلاثة ألفاظ: العين: الإصابة بالعين، والعين أن تضرب الرجل فى عينه والعين: المعاينة.

وغير المصدر ثلاثة ألفاظ أيضا: العين: أهل الدار؛ لأنهم يعاينون. والعين: المال الحاضر. والعين: الشىء الحاضر.

وأما الراجع إلى التشبيه فستة معان: العين: الجاسوس تشبيها بالعين؛ لأنه يطلع على الأمور الغائبة وعين الشىء: خياره. والعين: الربيئة، وهو الذى يرقب القوم. وعين القوم: سيدهم، والعين: واحد الأعيان، وهم الإخوة الأشقاء، والعين: الحر؛ كل هذه مشبهة بالعين لشرفها، وأما ما لا يرجع إلى ذلك فعشرة معان: العين: الدينار، وعليه يتخرج اللغز [الخفيف]:

ما غلام له ثمانون عينا زاهرات كأنهن الدرارى

ثم شاة جاءت بعنز وديك فى ليالى الشتاء والأزهار

والعين: اعوجاج فى الميزان.

---

(١) انظر: فقه اللغة للدكتور على عبد الواحد وافى ١٩٢، وفى اللهجات العربية ١٩٣ – ٢٠٤، وفصول فى فقه العربية ٣٢٦ – ٣٣٣، وعلم اللغة بين القديم والحديث ٢٨٧ – ٢٨٩، ودور الكلمة فى اللغة ١٣٠، ١٣١، ١٣٩، ١٤٠.

والعين: عين القبلة.

والعين: سحابة تأتى مـــن ناحية القبلة.

والعين: مطر أيام كثيرة لا يقلع.

والعين: طائر. والعين: عين الركبة؛ وهى نقرة فى مقدمها.

والعين: عين الشمس. والعين: من عيون الماء، وعين كل شيء؛ ذاته، تقول: أخذ كتابى بعينه "[١].

وقد لعب الاستعمال المجازى دورا كبيرا فى نشوء المشترك اللفظى فى غير العربية يقول أولمان: " فالمجازات مثلا كما فى نحو crane وظيفتهـــا إلحـــاق مدلول جديد بمدلول قديم عن طريق العلاقة المباشرة بين المـــدلولين، غيـــر أن السمات المشتركة فقط هى التى يدركها المتكلم حين يتم الانتقال من المعنى القديم جنبا إلى جنب مع المعنى الجديد؛ فالطير المسمى crane سوف يظل يدعى بهذا الاسم، على الرغم من أن اللفظ نفسه قد أطلق على تلك الآلة المعهـــودة التـــى تستعمل فى رفع الأحمال الثقيلة"[٢].

(٢) **اللهجات:** قد تطلق إحدى القبائل معنى معينا على لفظة فى حين تطلـــق قبيلة أخرى معنى آخر على اللفظة نفسها، ويشتهر ذلك اللفظ بين القبيلتـــين فـــى إفادته المعنيين.يقول ابن السراج: " الذى يوجبه النظر على واضع كل لغـــة، أن يخص كل معنى بلفظ؛ لأن الأسماء إنما جعلت لتدل علـــى المعـــانى، فحقهـــا أن تختلف كاختلاف المعانى، ومحال أن يصطلح أهل اللغة على ما يلـــبس دون مـــا يوضح.وهذا ادعاء من ادعى أنه ليس فى لغة العـــرب لفظتـــان متفقتـــان فـــى الحروف، إلا لمعنى واحد، لكنه أغفل أن الحى أو القبيلة، ربما انفرد القوم مـــنهم بلغة، ليس سائر العرب عليها، فيوافق اللفظ فى لغة قوم، وهم يريدون معنى لفظ آخر من لغة آخرين، وهم يريدون معنى آخر.

---

(١) المزهر فى علوم اللغة ٣٧٤/١، ٣٧٥.

(٢) دور الكلمة فى اللغة ١٣٠، ١٣١.

ثم ربما اختلطت اللغات، فاستعمل هؤلاء لغة هؤلاء، وهؤلاء لغة هؤلاء. فأصل اللغة قد وضعت على بيان وإخلاص لكل معنى لفظ ينفرد به، إلا أنه دخل اللبس من حيث لم يقصد"[١].

(٣) **اقتراض الألفاظ من اللغات المختلفة:** ويتم ذلك حين تشبه اللفظة المقترضة اللفظة العربية فى لفظها، بيد أنها ذات دلالة مختلفة؛ من ذلك السور: حائط المدينة عربية، والسور: الضيافة فارسية شرفها النبى – صلى الله عليه وسلم "[٢]حين نطق بها،" عن جابر بن عبد الله أن النبى – صلى الله عليه وسلم – قال: (يأهل الخندق، قوموا فقد صنع جابر سورا) قال أبو العباس ثعلب: إنما يراد من هذا أن النبى ﷺ تكلم بالفارسية، صنع سورا؛ أى: طعاما دعا إليه الناس "[٣].

وفى العربية (الحب) بمعنى الوداد، وهو حب الشىء، والحب: الجرة التى يجعل فيها الماء[٤]. المعنى الأول عربى أصيل، والثانى مستعار من الفارسية[٥].

(٤) **التطور اللغوى:** قد يؤدى التطور الصوتى إلى أن تتفق كلمتان فى أصواتهما بعد ما كانتا مختلفتين، ويؤدى هذه الاتفاق فى الأصوات إلى تعدد المعنى الذى ينشأ عنه المشترك اللفظى؛ من ذلك:

– الفروة: جلدة الرأس والغنى[٦]؛ " وأصل الكلمة بالمعنى الثانى هو الثروة، أبدلت الثاء فاء على طريقة العربية، فى مثل (جدث) و(جدف) و(حثالة) و(حفالة) وما أشبه ذلك"[٧].

– دعم الشىء: قواه، ودعمه: دفعه، وطعنه ورماه بشىء[٨].

---

(١) فصول فى فقه العربية ٣٣٠ نقلا عن الاشتقاق لابن السراج ٣٣.

(٢) القاموس المحيط [سور] ٥٢/٢.

(٣) المعرب للجواليقى ٩٥.

(٤) انظر: القاموس المحيط [حب] ٥٠/١.

(٥) انظر: المعرب للجواليقى ٦٣.

(٦) القاموس المحيط [فرو] ٣٧٣/٤.

(٧) فصول فى فقه العربية ٣٣٢.

(٨) انظر القاموس المحيط [دعم] ١١٢/٤ ولسان العرب [دعم] ١٣٨٤/٢.

" وأصل الكلمة بالمعنى الثانى هو: دحم (بالحاء) فقد تطورت هذه الحاء، وجهرت؛ بسبب مجاورتها للدال المجهورة، فقلبت إلى نظيرها المجهور، وهو العين؛ فصارت: دعم، والتبست لذلك بكلمة: دعم بمعنى: قوى، فنشأ الاشتراك اللفظى فى هذه الكلمة " (١).

يقول أولمان عن أثر التطور اللغوى فى نشأة المشترك اللفظى: " والمشترك اللفظى ينشأ عن مصدرين مختلفين، أكثرهما وقوعا اتفاق كلمتين مستقلتين أو أكثر فى الصيغة اتفاقا بطريق المصادفة.

وعلى هذا ليس هناك أقل من أربع كلمات تمثلها الصيغة sound فى اللغة الإنجليزية فهذه الكلمات الأربع بعد أن اشتقت من أصول مختلفة أخذت تتقارب بعضها من بعض فى الصيغة حتى اتحدت وتماثلت؛ فالكلمة Sound بمعنى healthy (صحيح البدن) كلمة جرمانية قديمة، وهناك ما يقابلها بالفعل فى تلك اللغة، وهى الكلمةgesund التى لا تزال تؤدى هذا المعنى نفسه أما Sound بمعنى صوت فإنها ترجع إلى الكلمة الفرنسية Son وما العنصر(d) إلا تطور متأخر الحدوث.

وsound بمعنى (سبر الغور) امتداد للفعل الفرنسى sonder وربما تكون هناك علاقة تاريخية بين هذه الكلمة الفرنسية،وبين الكلمة Sound الرابعة التى تعنى (مضيق الماء) والتى توجد فى لغات جرمانية"(٢).

(٥) **اختلاف الاشتقاق:** ويأتى ذلك بأن تؤدى القواعد التصريفية إلى أن تتفق لفظتان متقاربتان فى صيغة واحدة، فينشأ من ذلك تعدد فى معنى هذه الصيغة؛ من ذلك لفظ (وجد) " فإنه يجىء ماضيا من الوجدان بمعنى العلم بالشىء أو العثور عليه؛ فيقال: وجدت الضالة إذا عثرت عليها، ووجدت زيدا كريما إذا علمته كذلك

---

(١) فصول فى فقه العربية ٣٣٢، ٣٣٣.

(٢) دور الكلمة فى اللغة ١٣٩.

ومن الموجدة بمعنى الغضب، فيقال: وجدت عليه، إذا غضبت، ومن الوجد بمعنى الحب الشديد، فيقال: وجد به وجدا إذا هويه وتفانى فى حبه"[1].

ثالثا: التضاد

التضاد: هو نوع من المشترك؛ وهو دلالة اللفظ على معنيين متقابلين على التساوى.

" قال أهل الأصول: مفهوما اللفظ المشترك إما أن يتباينا، بأن لا يمكن اجتماعهما فى الصدق على شيء واحد؛ كالحيض والطهر، فإنهما مدلولا القرء، ولا يجوز اجتماعهما لواحد فى زمن واحد. أو يتواصلا، فإما أن يكون أحدهما جزءا من الآخر، كالممكن العام للخاص أو صفة كالأسود الذى السواد فيمن سمى به.

وذكر صاحب الحاصل: أن النقيضين لا يوضع لهما لفظ واحد؛ لأن المشترك يجب فيه إفادة التردد بين معنييه؛ والتردد فى النقيضين حاصل بالذات لا من اللفظ.

وقال غيره: يجوز أن يوضع لهما لفظ واحد من قبيلتين.

وقال ألكيا فى تعليقه: المشترك يقع على شيئين ضدين، وعلى مختلفين غير ضدين كالعين"[2].

وقال ابن فارس: " ومن سنن العرب فى الأسماء أن يسموا المتضادين باسم واحد؛ نحو: الجون للأسود، والجون للأبيض " [3].

وقال المبرد فى كتاب (ما اتفق لفظه، واختلف معناه): " من كلام العرب اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين؛ واختلاف اللفظين والمعنى واحد؛ واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين؛ فأما اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين

---

(١) فقه اللغة للدكتور على عبد الواحد وافى ١٩١.

(٢) المزهر فى علوم اللغة ٣٨٧/١.

(٣) الصاحبى فى فقه اللغة – ١١٧.

فقولك: ذهب، وجاء، وقام، وقعد، ورجل، وفرس، ويد، ورجل. وأما اختلاف اللفظين والمعنى واحد فقولك: ظننت وحسبت، وقعدت، وجلست، وذراع وساعد، وأنف ومرسن.

وأما اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين فقولك: وجدت شيئا إذا أرت وجدان الضالة، ووجدت على الرجل من الموجدة، ووجدت زيدا كريما؛ أى علمت.

وكذلك ضربت زيدا، وضربت مثلا، وضربت فى الأرض إذا أبعدت ... وهذا الضرب كثير جدا؛ ومنه ما يقع على شيئين متضادين كقولهم: جلل للكبير والصغير وللعظيم أيضا، والجون للأسود والأبيض؛ وهو فى الأسود أكثر، والقوى للقوى والضعيف؛ والرجاء للرغبة والخوف وهو أيضا كثير"[1].

من أمثلة التضاد فى العربية:

قال أبو عبيد فى الغريب المصنف: باب الأضداد: " سمعت أبا زيد سعيد بن أوس الأنصارى يقول: الناهل فى كلام العرب: العطشان، والناهل: الذى قد شرب حتى روى. والسدفة فى لغة تميم: الظلمة، والسدفة فى لغة قيس: الضوء. وبعضهم يجعل السدفة اختلاط الضوء والظلمة معا؛ كوقت ما بين صلاة الفجر إلى الإسفار. وقال أبو زيد: طلعت على القوم أطلع طلوعا إذا غبت عنهم حتى لا يروك، وطلعت عليهم إذا أقبلت عليهم حتى يروك. وقال: لمقت الشيء أَلْمُقه لَمَقا إذا كتبته، فى لغة بنى عقيل؛ وسائر قيس يقولون: لمقته: محوته. وقال الأصمعى: الجون: الأسود، والجون: الأبيض. والمشيح: الجاد، والمشيح: الحذر. والجلل: الشيء الصغير، والجلل: العظيم. والصارخ: المستغيث، والصارخ: المغيث. والإهماد: السرعة فى السير، والإهماد: الإقامة. وقال أبو عبيد: التلاع: مجارى الماء من أعالى الوادى، والتلاع: ما انهبط من الأرض. وأخلفت الرجل فى موعده: قلت ولم أفعل وأخلفته: وافقت منه خلفا. والصريم: الصبح،

---

(١) المزهر فى علوم اللغة ٣٨٨/١.

والصريم: الليل. وعطاء بَتْر: كثير؛ والبَتْر: القليل أيضا. والظن: يقين وشك. وقال الكسائى: أفدت المال: أعطيته غيرى، وأفدته: استفدته وأودعته مالا: إذا دفعته إليه يكون وديعة عنده، وأودعته إذا سألك أن تقبل وديعته فقبلتها ...

وقال أبو عمرو: الماثل: القائم، والماثل: اللاطئ بالأرض"[1].

تأليف القدماء فى التضاد[2]:

ألف فى الأضداد جماعة من أئمة اللغة؛ **من هؤلاء:**

١- قطرب المتوفى ٢٠٦ هـ. ٢- الأصمعى المتوفى٢١٦هـ.

٣- ابن السكيت المتوفى ٢٤٤ هـ. ٤- أبو حاتم المتوفى ٢٥٥هـ.

٥- أبو بكر الأنبارى المتوفى ٣٢٨ هـ. ٦- أبو الطيب المتوفى٣٥١هـ

٧- ابن الدهان المتوفى ٥٦٩ هـ. ٨- الصغانى المتوفى٦٥٠ هـ.

والكتب السابقة وصلت إلينا، وحفظها العلماء، أما الكتب التى لم **تصل إلينا فمنها:** - كتاب الأضداد للتوزى المتوفى ٢٣٠ هـ.

- لثعلب المتوفى ٢٩١ هـ جزء فى الأضداد ذكره ابن خير الإشبيلى.

- لابن فارس المتوفى ٣٩٥ هـ كتاب فى الأضداد ذكر فيه ما احتج به المنكرون لوجودها، ورد ذلك ونقضه يقول: " وقد جردنا فى هذا كتابا ذكرنا فيه ما احتجوا به، وذكرنا رد ذلك ونقضه"[3].

موقف علماء العربية القدماء من التضاد:

اختلف علماء العربية القدماء فى وجود هذا النوع من المشترك اللفظى؛ فمنهم من أثبته وهم كثرة تجل عن الحصر[4]. وقد انضم إليهم معظم علماء الأصول فى إثبات هذه الظاهرة"[5].

---

(١) المزهر فى علوم اللغة ٣٨٩/١ – ٣٩١.

(٢) انظر:المزهر فى علوم اللغة٣٩٧/١، وعلم الدلالة١٩٢، ١٩٣وفقه اللغة للدكتورعلى عبد الواحد وافى١٩٣.

(٣) الصاحبى فى فقه اللغة ١١٧.

(٤) انظر: المزهر فى علوم اللغة ٣٨٩/١ – ٣٩٥.

(٥) انظر: علم الدلالة ١٩٥.

ومنهم من أنكره؛ وهم قلة، على رأسهم ابن درستويه يقول:" النوء: الارتفاع بمشقة وثقل، ومنه قيل للكوكب قد ناء إذا طلع، وزعم قوم من اللغويين أن النوء السقوط أيضا، وأنه من الأضداد؛ وقد أوضحنا الحجة عليهم فى ذلك فى كتابنا فى إبطال الأضداد"(١)، وقال الجواليقى: " المحققون من علماء العربية، ينكرون الأضداد، ويدفعونها. قال أبو العباس أحمد بن يحيى(ثعلب): ليس فى الكلام ضد. قال: لأنه لو كان فيه ضد، لكان الكلام محالا؛ لأنه لا يكون الأبيض أسود، ولا الأسود أبيض. وكلام العرب وإن اختلف اللفظ، فالمعنى يرجع إلى أصل واحد؛ فالصارخ المستغيث والصارخ المغيث؛ لأنه صراخ منهما ... والقرء الوقت، فاحتمل أن يكون للحيض والطهر"(٢).

ويرى ابن دريد أن الأضداد لا تكون كذلك إلا فى لغة واحدة أما فى لغتين فلا، يقول: "الشَّعب: الافتراق، والشعب: الاجتماع؛ وليس من الأضداد، وإنما هى لغة لقوم؛ فأفاد بهذا أن شرط الأضداد أن يكون استعمال اللفظ فى المعنيين فى لغة واحدة"(٣).

موقف علماء اللغة المحدثين من التضاد:

لقد درس علماء اللغة المحدثون التضاد، وأقروا بوقوعه فى العربية لكن دون مبالغة وإسراف كما فعل كثير من المثبتين للتضاد من القدماء، ودون إنكار كما فعل الفريق الثانى من القدماء من هؤلاء الدكتور على عبد الواحد وافى الذى يقول: "وكلا الفريقين قد تنكب جادة القصد فيما ذهب إليه. فمن التعسف إنكار التضاد، ومحاولة تأويل أمثلته جميعا تأويلا يخرجها عن هذا الباب كما فعل الفريق الأول (أى المنكرون). وذلك أن بعض أمثلته لا تحتمل أى تأويل من هذا القبيل؛ حتى إن ابن درستويه نفسه، وهو على رأس المنكرين للتضاد قد اضطر

---

(١) المزهر فى علوم اللغة ٣٩٦/١.

(٢) فصول فى فقه العربية ٣٣٧، نقلا عن شرح أدب الكاتب ٢٥١.

(٣) المزهر فى علوم اللغة ٣٩٦/١.

إلى الاعتراف بوجود النادر من تلك الألفاظ؛ إذ يقول: "وإنما اللغة موضوعة للإبانة عن المعانى، فلو جاز للفظ واحد الدلالة على معنيين مختلفين أو أحدهما ضد للآخر لما كان ذلك إبانة بل تعمية وتغطية، ولكن قد يجىء الشىء النادر من هذا لعلل ٠٠" غير أنه لم يكثر وروده فى اللغة العربية على الصورة التى ذهب إليها الفريق الثانى؛ وذلك أن كثيرا من الأمثلة التى ظن هذا الفريق أنها من قبيل الأضداد يمكن تأويلها على وجه آخر يخرجها عن هذا الباب "(١).

أما الدكتور إبراهيم أنيس فقد بالغ فى تضييق دائرة التضاد يقول بعد أن رد كثيرا من كلمات الأضداد: " نكتفى بهذا القدر فى الحديث عن الأَضداد؛ لأن ما روى عنها من الشواهد يعوز أكثره النصوص الصريحة القوية. وحين نحلل أمثلة التضاد فى اللغة العربية ونستعرضها جميعا، ثم نحذف منها ما يدل على التكلف والتعسف فى اختيارها، يتضح لنا أن ليس بينها ما يفيد التضاد بمعناه العلمى الدقيق إلا نحو عشرين كلمة فى كل اللغة. ومثل هذا المقدار الضئيل من كلمات اللغة لا يستحق عناية أكثر من هذا، لا سيما وأن مصير كلمات التضاد إلى الانقراض من اللغة؛ وذلك بأن تشتهر بمعنى واحد من المعنيين مع مرور الزمن"(٢).

ومن المحدثين الدكتور صبحى الصالح الذى يتخذ موقفا وسطا من التضاد، يقول: " على أننا لن نذهب مذهب ابن درستويه فى إنكار التضاد إطلاقا؛ فإن قدرا منه ولو ضئيلا لا بد من التسليم به ولكننا فى القدر الذى نسلم به، وفى القدر الذى ننكره ونؤوله تأويلا آخر مناسبا للسياق نجد أنفسنا طوعا أو كرها أمام كلمات حفظ لنا فيها معنى التعاكس، كما وجدنا أنفسنا قبل أمام كلمات حفظ لنا فيها معنى الترادف أو الاشتراك، فمهما نحاول أن نرد تطوراتها المعنوية إلى أصولها اللغوية الوضعية البدائية، لن نستطيع أن نقاوم قانون الصراع اللغوى

---

(١) فقه الغة ١٩٤.

(٢) فى اللهجات العربية ٢١٥.

الذى إنما يحفظ للمعانى المتماثلة أو المتناظرة أو المتقابلة بوحى من الظروف الاجتماعية المحيطة بكل أمة"[1].

ثم يقرر الدكتور صبحى الصالح أن " التضاد على ضآلة مقداره أصبح وسيلة من وسائل التنوع فى الألفاظ والأساليب، ووسع تنوع استعماله من دائرة التعبير فى العربية؛ فكان بهذا المعنى خصيصة من خصائص لغتنا فى مرانتها وطواعيتها فى التنقل بين السلب والإيجاب، والتعكيس والتنظير، وهو ما ليس له فى اللغات الحية نظير "[2].

والرأى الذى أراه أن التضاد واقع فى اللغة لكن دون إسراف ولا تضييق؛ والدليل على ذلك ورود التضاد فى القرآن الكريم، من ذلك:

الظن أتى فى القرآن الكريم بمعنيين: اليقين والشك، قال تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [3].

مدح الخاشعين فى لقاء ربهم، وإنما المعنى: يستيقنون.

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (١٩) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ (٢٠)﴾ [4] المعنى: إنى أيقنت، ولو كان شاكا لم يكن مؤمنا.

أما قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾[5]؛ فمعنى الظن فى الآية الشك؛ لأنها تتحدث عن الكفار.

---

(١) دراسات فى فقه اللغة ٣١٣.

(٢) دراسات فى فقه اللغة ٣١٣.

(٣) البقرة ٤٥، ٤٦.

(٤) الحاقة ١٩، ٢٠.

(٥) الجاثية ٣٢.

موقف علماء الغرب من التضاد:

يقر علماء الغرب بوقوع التضاد فى اللغة يقول أولمان: "ومن المعروف أن المعانى المتضادة للكلمة الواحدة قد تعيش جنبا إلى جنب لقرون طويلة دون إحداث أى إزعاج أو مضايقة؛ فالكلمة اللاتينية altus مثلا قد يكون معناها (مرتفع) أو (منخفض) وهذا مرجعه إلى الإدراك النسبى للمدى؛ وهو إدراك تتحكم فيه وجهة نظر المتكلم. والكلمة sacer هى الأخرى قد يكون معناها مقدس، أو ملعون، وكذلك الشأن فى الكلمة الفرنسية الحديثة Secre(مقدس أو ملعون) والكلمة الإنجليزية blessed (مقدس أو ملعون)"(١).

من الواضح أن أولمان جعل التضاد "من باب تعدد المعنى polysemy أو ما تناوله بالدراسة تحت العنوان الفرعى: مدلولات عدة للكلمة الواحدة، ولم يجعله من باب المشترك اللفظىhomonymy أو ما بحثه تحت العنوان: كلمات عدة متحدة الصيغة"(٢).

هجوم الشعوبيين على العربية:

لم تسلم العربية من هجوم الشعوبيين عليها، بسبب ما فيها من الأضداد؛ إذ ظن " أهل البدع والزيغ والازدراء بالعرب أن ذلك كان منهم؛ لنقصان حكمتهم، وقلة بلاغتهم، وكثرة الالتباس فى محاوراتهم عند اتصال مخاطباتهم؛ فيسألون عن ذلك ويحتجون بأن الاسم منبئ عن المعنى الذى تحته، ودال عليه، وموضح تأويله؛ فإذا اعتور اللفظة الواحدة معنيان مختلفان لم يعرف المخاطب أيهما أراد المخاطب، وبطل بذلك معنى تعليق الاسم على هذا المسمى"(٣).

وهذا الرأى باطل " لا يرجع إلى حقيقة أو صواب، بل يرجع إلى حقد وضغينة على العرب، فى نفوس هؤلاء الشعوبيين من غير العرب؛ لأن مرد

---

(١) دور الكلمة فى اللغة ١٣٢، ١٣٣.

(٢) دور الكلمة فى اللغة هامش ص ١٣٣.

(٣) المزهر فى علوم اللغة ٣٩٧/١.

الأمر فى مسألة الأضداد فى اللغة، إلى سياق الكلام، وتعلق أوله بآخره، وإلى قرائن الحال، التى يكون فيها الناس أثناء التخاطب"[1].

كما أن " كلام العرب يصحح بعضه بعضا، ويرتبط أوله بآخره ولا يعرف معنى الخطاب منه إلا باستيفائه واستكمال جميع حروفه، فجاز وقوع اللفظة الواحدة على المعنيين المتضادين، لأنها تتقدمها ويأتى بعدها ما يدل على خصوصية أحد المعنيين دون الآخر، فلا يراد بها فى حال التكلم والإخبار إلا معنى واحد؛ فمن ذلك قول الشاعر [الرمل]:

كل شيء ما خلا الموت جلل والفتى يسعى ويلهيه الأمل

فدل ما تقدم قبل (جلل) وتأخر بعده، على أن معناه: كل شيء ما خلا الموت يسير، ولا يتوهم ذو عقل وتمييز أن الجلل هنا معناه: عظيم، وقال الآخر[البسيط]:

يا خولَ يا خولَ لا يطمع بك الأمل فقد يكذّب ظنَّ الآملِ الأجلُ

فدل ما مضى من الكلام على أن (جللا) معناه يسير. وقال الآخر [الكامل]:

قومى هم قتلوا أميمَ أخى فإذا رميت يصيبنى سهمى
فلئن عفوت لأعفونْ جللا ولئن سطوت لأوهِنَنْ عظمى

فدل الكلام على أنه أراد: فلئن عفوت لأعفون عفوا عظيما؛ لأن الإنسان لا يفخر بصفحه عن ذنب حقير يسير.

فلما كان اللبس فى هذين زائلا عن جميع السامعين لم ينكر وقوع الكلمة على معنيين مختلفين فى كلامين مختلفى اللفظين"[2].

---

(١) فصول فى فقه العربية ٣٣٩.

(٢) المزهر فى علوم اللغة ٣٩٧/١، ٣٩٨.

عوامل نشأة التضاد:[1]

للتضاد عوامل وأسباب أدت إلى نشأته، ويتلخص أهم ما قيل من أسباب حول نشوء هذه الظاهرة فيما يأتى:

(١)**الاستعمال المجازى**: ويتم ذلك بنقل اللفظ من معناه الأصلى إلى غيره؛ كإطلاق (الكأس) عل الظرف والمظروف؛ وذلك بعد نسيان المجاز حتى يصير كالحقيقة، وكإطلاق كلمة (أمة) على الجماعة وعلى الفرد، والأصل أنه لا يقال للفرد أمة إلا على التشبيه بالجمال على وجه المبالغة: قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [2]، ونقول عن هذا العالم وغيره: (كان أمة وحده) أى يجمع من الخصال ما يجتمع فى جماعة من الناس، فاستعير له لفظ يطلق فى العادة على الجماعة.

(٢)**اختلاف اللهجات**: بعض الألفاظ جاءها التضاد من اختلاف القبائل فى استخدامها؛ فمثلا: السدفة فى لغة تميم: الظلمة، والسدفة فى لغة قيس: الضوء وفى لغة بنى عقيل: لمقت الشىء ألمقه لمقا إذا كتبته وفى لغة قيس: لمقته محوته[3].

يقول السيوطى ذاكرا آراء العلماء فى وقوع التضاد: " وقال آخرون: إذا وقع الحرف على معنيين متضادين فمحال أن يكون العربى أوقعه عليهما بمساواة منه بينهما، ولكن أحد المعنيين لحى من العرب، والمعنى الآخر لحى غيره، ثم سمع بعضهم لغة بعض فأخذ هؤلاء عن هؤلاء وهؤلاء عن هؤلاء. قالوا: فالجون الأبيض فى لغة حى من العرب، والجون الأسود فى لغة حى آخر؛ ثم أخذ أحد الفريقين من الآخر، كما قالت قريش: حسِب

---

(١) انظر: المزهر فى علوم اللغة١/٤٠٠، ٤٠١وفقه اللغة للدكتور على عبد الواحد وافى ١٩٧، ١٩٨ وفصول فى فقه العربية٣٤٢ – ٣٥٥ وعلم الدلالة٢٠٤ – ٢١٣، وعلم اللغة بين القديم والحديث٢٩٢ – ٢٩٤.

(٢) النحل ١٢٠.

(٣) انظر: المزهر فى علوم اللغة ٣٨٩/١، ٣٩٠.

يحسِب. وأخبرنا أبو العباس عن سلمة عن الفراء قال: قال الكسائى: أخذوا بحسِب بكسر السين فى المستقبل عن قوم من العرب يقولون: حسَب يحسِب فكأن حسب من لغتهم فى أنفسهم، ويحسِب لغة لغيرهم، سمعوها منهم فتكلموا بها، ولم يقع أصل البناء على فعل يفعل.

وقال الفراء: قوى هذا الذى ذكره الكسائى عندى أنى سمعت بعض العرب يقول: فضِل يفضُل.

قال أبو بكر: يذهب – أى الفراء – إلى أن يفعُل لا يكون مستقبلا لفَعِل وأن أصل يفضُل من لغة قوم يقولون: فضَل يفضلُ، فأخذ هؤلاء ضم المستقبل عنهم.

وقال الفراء: الذين يقولون: مِت أموت، ودِمت أدوم. أخذوا الماضى من لغة الذين يقولون: مِت أمات، ودِمت أدام؛ لأن فعل لا يكون مستقبله يفعل"[1].

(٣)**الإبهام فى المعنى الأصلى وعمومه:** من عوامل نشأة التضاد أن يكون المعنى الأصلى للكلمة عاما غير محدود، ثم يتحدد معناه مع الزمن، ولكن فى تطوره وتحدد معناه اتخذ طريقين متضادين؛ من ذلك الصريم " يقال لليل صريم، وللنهار صريم؛ لأن الليل ينصرم من النهار، والنهار ينصرم من الليل؛ فأصل المعنيين من باب واحد، وهو القطع وكذلك الصارخ: المغيث، والصارخ: المستغيث سميا بذلك؛ لأن المغيث يصرخ بالإغاثة، والمستغيث يصرخ بالاستغاثة؛ فأصلهما من باب واحد. وكذلك السدفة: الظلمة والسدفة: الضوء؛ سميا بذلك؛ لأن أصل السدفة الستر، فكأن النهار إذا أقبل ستر ضوءه ظلمة الليل، وكأن الليل إذا أقبل سترت ظلمته ضوء النهار "[2].

ومن الأمثلة كذلك (القرء) " بمعنى الطهر عند أهل الحجاز، والحيض عند أهل العراق ... ويظهر أن المعنى العام للكلمة هو (الوقت) ثم تخصصت

---

(١) المزهر فى علوم اللغة ١/٤٠٢،٤٠١.

(٢) المزهر فى علوم اللغة ١/٤٠١.

فى البيئتين على معنيين مختلفين ومن هذا المعنى العام اشتق (القرأة) بمعنى وقت المرض، فيقال للمسافر: ذهبت عنه قرأة الحجاز أو قرته؛ أى تبين أنه خال من مرض الحجاز"[١].

ومن الأمثلة أيضا (الطرب) هذه الكلمة لهـا معنيـان متـضادان: الفـرح والحزن " والأصل فى هذا المعنى: خفة تصيب الرجل، لشدة الـسرور، أو لشدة الجزع، وقد قال ابن الأنبارى: الطرب ليس هو الفـرح ولا الحـزن، وإنما هو خفة تلحق الإنسان فى وقت فرحه وحزنه"[٢].

(٤)**التطور اللغوى**: قد ينال الأصوات الأصيلة للفظ ما بعض التغيير أو الحذف أو الزيادة فيصبح متحدا مع لفظ آخر يدل على ما يقابل معناه.

" ومن أمثلة ذلك فى العربية قول بنى عقيل: لمقت الكتـاب؛ أى كتبتـه، وقول سائر قيس: لمقت الكتاب؛ أى محوته. هكذا يبدو التضاد فـى الفعـل (لمق) غير أننا إذا عرفنا أن هناك فعلا آخر، بمعنى الكتابة هـو (نمـق) عرفنا أن بنى عقيل، قد تطور هذا الفعل الأخير فى نطقها، فأبدلت النـون لاما. والنون واللام من الأصوات المتوسطة فى العربية، تلـك الأصـوات التى يحدث فيها الإبدال كثيرا؛ وبذلك صار الفعل (لمق) فتطابق مع نظيره بمعنى (محا)، وتولد التضاد بين المعنيين عن هذا الطريق. وقد روى عـن أعرابى أنه قال عن كتاب: لمقتـه بعـدما نمقتـه؛ أى محوتـه بعـد أن سطرته"[٣].

(٥)**التفاؤل والتشاؤم**: " إن غريزة التفاؤل والتشاؤم من غرائز الإنـسان التـى تسيطر على عاداته فى التعبير إلى حد كبير فإذا شاء المرء التعبير عـن معنى سيئ، تشاءم من ذكر الكلمة الخاصة به، وفر منها إلى غيرها. فجميع

---

(١) فى اللهجات العربية ٢١٢، ٢١٣.

(٢) فصول فى فقه العربية ٣٤٣.

(٣) فصول فى فقه العربية ٣٥١، ٣٥٢.

الكلمات التى تعبر عن الموت والأمراض، والمصائب والكوارث يفر منها الإنسان ويكنى عنها بكلمات حسنة المعنى قريبة إلى الخير"[١].

وهذه الظاهرة تسمى اللامساس taboo أو الحظر، وهى تطلق" على كل ما هو مقدس أو ما يحرم لمسه، أو الاقتراب منه لأسباب خفية، سواء أكان ذلك إنسانا أم كلمة أم شيئا آخر. فإذا ما اصطدمت كلمة ما بحظر الاستعمال تحت تأثير عامل اللامساس حلت محلها كلمة أخرى خالية من فكرة الضرر والأذى.

وهذه العادة ليست مقصورة بحال من الأحوال على المجتمعات البدائية، فهى معروفة فى كل البيئات، وفى كل أنواع الحضارات بمستوياتها المختلفة، وتحريم استعمال الكلمات بتأثير فكرة اللامساس، نتيجة طبيعية للخرافات اللغوية، وأثر من آثار الاعتقاد فى سحر الكلمة"[٢].

بهذا العامل نستطيع تفسير الكلمات الآتية:

- المفازة: معناها فى العربية: المنجاة والمهلكة، واشتقاق الكلمة من (الفوز) يؤكد أصالة المعنى الأول، أما إطلاقها على الثانى فهو على سبيل التفاؤل. " وقد فطن إلى هذا علماؤنا الأقدمون؛ فقال أبو حاتم السجستانى: وإنما قيل للعطشان: ناهل على سبيل التفاؤل، كما يقال: المفازة للمهلكة على التفاؤل، ويقال للعطشان: يا ريان، وللملدوغ: سليم؛ أى سيسلم، وسيروى، ونحو ذلك"[٣].

وقال ابن الأنبارى: " واختلف الناس فى اعتلال لها: لم سميت مفازة على معنى المهلكة، وهى مأخوذة من الفوز ؟ قال الأصمعى وأبو عبيد وغيرهما:سميت مفازة على جهة التفاؤل لمن دخلها بالفوز،كما قيل للأسود:

---

(١) فى اللهجات العربية ٢٠٨، ٢٠٩.

(٢) دور الكلمة فى اللغة ١٩٣.

(٣) فصول فى فقه العربية ٣٤٧ نقلا عن الأضداد لأبى حاتم ٩٩.

أبو البيضاء، وقيل للعطشان: ريان"[١].

– الناهل: تطلق على الريان وعلى العطشان، واشتقاق النهل من ورود الماء والشرب، ومنه (المنهل) بمعنى: المورد، يؤكد أصالة المعنى الأول، أما العطشان، فقيل له: ناهل، على التفاؤل بالرى.

(٦)**التهكم**: هذا العامل من العوامل التى تؤدى إلى قلب المعنى، وتغيير الدلالة إلى ضدها، فالفعل (عزر) ورد ذكره فى القرآن الكريم ثلاث مرات بمعنى: يناصر ويقوى ويؤيد، وقد استعمل الفقهاء مصدر هذا الفعل، وهو (التعزير) كنوع من العقوبة وهذا على سبيل التهكم والاستهزاء بالمذنب[٢]. ومن الأمثلة على ذلك أيضا: إطلاق (العاقل) على (الجاهل) تهكما. ومن الأمثلة قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [٣] وهو خطاب لأبى جهل؛ لأنه قال: ما بين جبليها – يعنى مكة – أعز ولا أكرم"[٤]. وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ (٩٢) فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ (٩٣) وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ (٩٤)﴾[٥] "والنزل لغة: هو الذى يقدم للنازل تكرمة له قبل حضور الضيافة"[٦].

(٧)**احتمال الصيغة الصرفية للمعنيين**: هناك صيغ فى العربية تستعمل للفاعل والمفعول، ومن هنا ينشأ التضاد كثيرا فى معانى هذه الصيغ، ومن الأمثلة[٧]:

أ– صيغة (فعول) تستعمل فى العربية بمعنى (فاعل)، مثل: شكور وغفور وكفور، كما تستعمل بمعنى (مفعول)؛ مثل: رسول، بمعنى: مرسل وناقة

---

(١) فصول فى فقه العربية ٣٤٧ نقلا عن الأضداد لابن الأنبارى ١٠٥.

(٢) انظر: فى اللهجات العربية ٢١٠، ٢١١ وفصول فى فقه العربية ٣٤٩

(٣) الدخان: ٥٠.

(٤) البرهان فى علوم القرن للزركشى ٢/٢٣١، ٢٣٢.

(٥) الواقعة ٩٢ – ٩٤.

(٦) البرهان فى علوم القرآن ٢/٢٣٢.

(٧) انظر: فصول فى فقه العربية ٣٥٢ – ٣٥٥.

سلوب، بمعنى مسلوبة الولد، وقد وردت بعض الأمثلة من هذه الصيغة بالمعنيين جميعا؛ مثل: ذعور بمعنى: ذاعر ومذعور، وركوب بمعنى: الراكب والمركوب، وزجور، بمعنى: الزاجر والمزجور.

ب- صيغة (فعيل) تأتى كذلك بمعنى (فاعل)، مثل: سميع وعليم وقدير، كما تأتى بمعنى: مفعول؛ مثل: دهين بمعنى مدهون، وكحيل، بمعنى: مكحول، وجريح، بمعنى: مجروح، وطريد، بمعنى: مطرود وقد وردت أمثلة من هذه الصيغة بالمعنيين جميعا؛ مثل: الغريم بمعنى الدائن والمدين، والقنيص بمعنى: القانص والمقنوص، والتبيع بمعنى: التابع والمتبوع.

جـ- صيغة (فاعل) تستعمل فى العربية أحيانا بمعنى(مفعول) إلى جانب استعمالها فى معناها الأصلى، مثل قوله تعالى:﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾[1]. بمعنى: مرضية وقد ورد فى العربية بعض أمثلة هذه الصيغة بالمعنيين جميعا؛ مثل: خائف، وعائذ، وعارف، وعاصم.

د- صيغة (مفتعِل) و(مفتعَل) من الأجوف ومضعف الثلاثى؛ مثل: مبتاع، ومختار، ومحتاج. ومثل: مرتد، ومعتد، ومختص، ومختل.

فى الأمثلة السابقة اسم الفاعل واسم المفعول آلا إلى صيغة واحدة؛ فمثلا: اسم الفاعل من الفعل (اختار) الأصل فيه أن يكون (مختير) بكسر الياء، ثم يتحول إلى مختار، واسم المفعول منه أصله أن يكون (مختير) بفتح الياء، ثم يتحول إلى (مختار). وكذلك الحال فى مضعف الثلاثى؛ فمثلا: اسم الفاعل من (ارتد) أصله أن يكون (مرتدِد) بكسر الدال الأولى، ثم يتحول إلى (مرتد) واسم المفعول منه أصله أن يكون (مرتدَد) بفتح الدال الأولى ثم يتحول إلى (مرتد)، فتصبح الصيغة دالة على الفاعل والمفعول معا.

** ** ** **

(١) القارعة ٧.

الفصل الرابع

مناهج دراسة المعنى

اهتم العلماء بدراسة المعنى اهتماما كبيرا، ونظرا لاختلاف الدارسين لقضية المعنى اختلفت المناهج وتنوعت وسيكون تركيزى فى هذا الفصل على مناهج اللغويين خاصة أمثال: ستيفن أولمان، وبلومفيلد، ودى سوسير، وفيرث، وغيرهم من اللغويين.

أولا: المنهج العقلى أو النفسى

من أعلام هذا المنهج ستيفن أولمان الذى اعتمد فى دراسته للمعنى على ما قام به الأستاذان أوجدن وريتشاردز فى كتابهما (معنى المعنى) The meaning of meaning.

والمعروف أن التحليل الذى أجراه أوجدن وريتشاردز يعتمد فى أساسه على القاعدة المشهورة التى سمياها (المثلث الأساسى) basic triangle " يرى الأستاذان أن هناك ثلاثة عوامل تتضمنها أية علاقة رمزية.

العامل الأول: الرمز نفسه The symbol، وهو فى حالتنا هذه عبارة عن الكلمة المنطوقة المكونة من سلسلة من الأصوات المرتبة ترتيبا معينا؛ ككلمة منضدة مثلا.

والعامل الثانى: المحتوى العقلى الذى يحضر فى ذهن السامع حينما يسمع كلمة (منضدة).

وهذا المحتوى العقلى قد يكون صورة بصرية أو صورة مهزوزة، أو حتى مجرد عملية من عمليات الربط الذهنى، طبقا للحالة المعينة.

وهذا ما سماه هذان العالمان بالفكرة thought أو الربط الذهنى reference، وهناك أخيرا الشىء نفسه الذى ارتبط ذهنيا بشىء آخر، وهذا الشىء قد سمياه المرتبط الذهنى reference وقد وضحت العلاقة الحاصلة بين هذه المصطلحات الثلاثة بصورة مثلث **هكذا:**

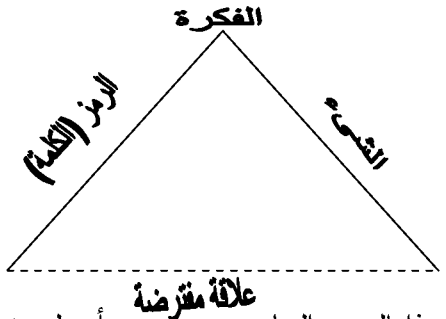

والنقطة الجوهرية فى هذا الرسم البيانى ... هى أنه ليست هناك علاقة مباشرة بين الكلمات والأشياء، ومن ثم وضعت النقط لتدل على (علاقة مفترضة)؛ إذ لا يوجد طريق مباشر قصير بين الكلمات وبين الأشياء التى تدل عليها هذه الكلمات؛ فالدورة يجب أن تبدأ عن طريق الفكرة أو الربط الذهنى؛ أى عن طريق المحتوى العقلى الذى تستند عليه الكلمة، والذى يرتبط بالشىء"[1].

هذا الموقف المعبر عنه بهذا الشكل هو محور البحث فى موضوع المعنى عند أوجدن وريتشاردز، ويرجع إليهما الفضل فى توضيح هذا المنهج الذى نال قدرا كبيرا من النجاح فى الدراسات التى جاءت من بعدهما فى الموضوع نفسه.

وقد سار أولمان على الطريق نفسه بعد أن أدخل على هذه الطريقة شيئا من التعديل والتبسيط يقول:

" من الممكن أولا أن نتخلص من الشىء نهائيا؛ إذ إن دارس اللغة إنما تهمه الكلمات لا الأشياء. وقد اتضح لنا من الشكل البيانى نفسه أنه لا توجد علاقة مباشرة بين الطرفين ".

والعلاقة الحقيقية الوحيدة التى تربط الشىء بأى طرف آخر فى المثلث إنما هى العلاقة الموجودة بينه وبين الفكرة، على أن طبيعة الارتباط بين الواقع (أى الشىء) وصورته المنعكسة فى أذهاننا إنما هى مشكلة تخص عالم النفس أو الفيلسوف.

---

(١) دور الكلمة فى اللغة ٧٠، ٧١، وانظر: علم الدلالة إطار جديد لبالمر ٤٦ ودراسات فى علم اللغة القسم الثانى، د. كمال محمد بشر ١٥٨، ١٥٩.

أما اللغوى فليس فى مقدوره أن يأخذ طرفا فى هذه المسألة الجدلية، ولـيس مطلوبا منه ذلك أيضا. كل ما يستطيع أن يعمله اللغوى هو أن يركـز اهتمامـه على الجانب الأيسر من المثلث؛ أى على الخط الذى يربط الرمز بالفكرة.

ونستطيع بعد ذلك أن نبسط المصطلحات نفسها، وأن نجعلهـا ذات صـبغة لغوية صرفة. ولعل أبسط طريقة فى ذلك هى أن نستعمل مصطلحين بالذات من جملة المصطلحات المتعددة التى يمكن أن تتناوب فى هذا المقام وتناسبه. هـذان المصطلحان هما (اللفظ) بدلا من (رمز) و(المدلول) بدلا من (فكرة) أو (ارتباط ذهنى). وسوف نعرف(اللفظ) حينئذ بأنه الصيغة الخارجية للكلمة، وأما (المدلول) فهو الفكرة التى يستدعيها اللفظ"[١].

ويرى أولمان[٢] بعد تبسيطه المصطلحات، وتضييقه دائرة البحث أن الطريق أصبح ممهدا لدراسة العلاقة الحاصلة بين المصطلحين الرئيسيين اللفظ والمدلول دراسة دقيقة فاحصة ويقرر أن هذه العلاقة علاقة متبادلة؛ فليس اللفظ وحده هو الذى يستدعى المدلول، بل إن المدلول أيضا يمكن أن يستدعى اللفظ، فحين يفكر الإنسان فى (منضدة) مثلا سوف ينطق الكلمة التى تدل عليها، وسـماعه هـذه الكلمة يجعله يفكر فى المنضدة وهكذا.

هذه العلاقة المتبادلة، أو هذه القوة التى تربط اللفـظ بالمـدلول أو الـصيغة الخارجية للكلمة بالمحتوى العقلى هى أساس العملية الرمزية. وإنه من المناسب أن تميز هذه العلاقة بذلك المصطلح المشهور فى دراسة هذه المشكلات، ومـن الواضح أن هذا المصطلح هو المعنى.

ويعرف لنا أولمان المعنى بأنه علاقة متبادلة بين اللفظ والمدلول، علاقة تمكن كل واحد منهما من استدعاء الآخر. ويذكر أولمان أن استعمال اللفظ والمـدلول والمعنى من شأنه أن يبسط التحليل المقصود، ويؤكد أن اختيار المصطلحات أمر

---

(١) دور الكلمة فى اللغة ٧٢.

(٢) انظر: دور الكلمة فى اللغة ٧٢ – ٧٨.

يتوقف على حاجة الدارس إليها، وعلى قيمتها العملية بالنسبة له. ويعرض أولمان لقضية الأعلام؛ مثل: محمد وعلى والقاهرة، والإسكندرية ... الخ. ويرى أن التحليل الذى قدمه لدراسة المعنى لا ينطبق على هذه الأعلام. إن الأعلام لا معنى لها؛ فالإنسان لا يمكنه أن يقول إنه يفهم العلم، وإنما يستطيع أن يقول: إنه يعرف إلى من يشير هذا الاسم، واسم من هو. الأعلام تعلم وتميز ولكنها لا تعنى، فهى تعين الأفراد وتدل على شخصياتهم، وتعين الأماكن، وتمكننا من التعرف عليها، ولكنها لا تعطى معلومات أكثر من ذلك فيما يتعلق بهؤلاء الأفراد أو هذه الأماكن. ويرى أولمان أن الأعلام تشبه البطاقات التى نضعها على الأشياء لتميزها من غيرها، ويمكن مقارنتها – من حيث الوظيفة – بخطوط الطباشير التى كان يصنعها لصوص ألف ليلة وليلة؛ للتعرف على ضحاياهم المقبلة من المنازل التى كانوا يرغبون فى السطو عليهم. ويرى أن الأسماء العادية تفقد معانيها وتصبح شديدة العقم فى وظيفتها بمجرد استخدامها أعلاما أو أسماء أشخاص، وعلى العكس من ذلك يصير اسم العلم غنى الدلالة والمعنى حين يستعمل استعمال الكلمة العادية.

ومن المآخذ على هذا المنهج أنه "يركز على الأفكار أو التصورات الموجودة فى عقول المتكلمين والسامعين بقصد تحديد معنى الكلمة، أو ما يعنيه المتكلم بكلمة استعملها فى مناسبة معينة، سواء اعتبرنا معنى الكلمة هو الفكرة أو الصورة الذهنية أو اعتبرناه العلاقة بين الرمز والفكرة. وهذا هو أحد المآخذ الأساسية على هذه النظرية من وجهة النظر السلوكية؛ لأنه ما دام المعنى هو الفكرة، فكيف يتسنى للمتكلم أن يخاطب السامع وينقل المعنى إليه مع أن الأفكار تعد ملكا خاصا بالمتكلم ... وهناك مأخذ آخر يتلخص فى أن هناك كلمات كثيرة غير قابلة للتصور مثل الأدوات والكلمات التجريدية، فهذه ليس لها تصور عقلى سوى حروف الكلمة نفسها"[1].

---

(١) علم الدلالة د. أحمد مختار عمر ٥٨، وانظر: دراسات فى علم اللغة القسم الثانى ١٦٩،١٧٠.

ثانيا: المنهج السلوكى

هذا المنهج ظهر وازدهر فى الولايات المتحدة الأمريكية بوجه خاص، وخير ممثل لهذا المنهج فى الدراسات اللغوية هو العالم اللغوى بلومفيلد، الذى تأثر فى اتجاهه السلوكى بسلوكية ألبرت بول فايس كما عرضها فى كتابه (الأساس النظرى للسلوك الإنسانى)[1].

والسلوكية بوجه عام تقوم على جملة أسس منها:

١- التشكك فى كل المصطلحات الذهنية؛ مثل: العقل والتصور والفكرة، ورفض الاستبطان كوسيلة للحصول على مادة ذات قيمة فى علم النفس. ويجب على عالم النفس أن يقصر نفسه على ما يمكن ملاحظته مباشرة، وذلك بأن يعنى بالسلوك الظاهر، وليس بالحالات والعمليات الداخلية. وتطبيق ذلك على اللغة يعنى التركيز على الأحداث الممكن ملاحظتها وتسجيلها، وعلى علاقتها بالموقف المباشر الذى يتم إنتاجها فيه ...

٢- اتجاهها إلى تقليص دور الغرائز والدوافع والقدرات الفطرية الأخرى وتأكيدها على الدور الذى يلعبه التعلم فى اكتساب النماذج السلوكية، وتركيزها على التربية أكثر من الطبيعة، ونسبة الشىء الكثير للبيئة، والشىء القليل للوارثة.

٣- اتجاهها الآلى أو الحتمى الذى يرى أن كل شىء فى العالم محكوم بقوانين الطبيعة.

٤- أنه يمكن وصف السلوك عند السلوكيين على أنه نوع من الاستجابات responses لمثيرات ما stimuli تقدمها البيئة أو المحيط environment والشكل الذى يستعمل عادة لتمثيل العلاقة بين المثير والاستجابة هو:

م ⟵ س (م = مثير، وس = استجابة).

والسهم هنا يمثل علاقة عرضية. المثير سبب، والاستجابة أثره.

---

(١) انظر: علم اللغة مقدمة للقارئ العربى ٣٠٤.

ونموذج السلوك يعد سلسلة من المثيرات – الاستجابات هكذا:

(م١ ← س١) ← (م٢ ← س٢) ← (م٣ ← س٣)

فالكلمة الأولى للحدث الكلامى تنتج كاستجابة (س١) لبعض المثيرات الداخلية (م١). وإنتاج (س١) يخدم كمثير فيصبح (م٢)، ويكون مثيرا للكلمة الثانية (س٢) ... وهكذا"[١].

ويعرف بلومفيلد المعنى بأنه " عبارة عن الموقف الذى ينطق فيه الحدث اللغوى المعين، والاستجابة أو رد الفعل الذى يستدعيه هذا الحدث فى نفس السامع، أو بعبارة أخرى، المعنى اللغوى عند بلومفيلد إن هو إلا الحوادث السابقة والتالية للكلام " [٢].

ويورد بلومفيلد مثالا للحدث الكلامى هذا المثال المعروف بـ (جاك وجيل والتفاحة) يقول " نفترض أن (جاك) و (جيل) يسيران فى طريق، و(جيل) تستشعر الجوع. ترى جيل تفاحة على شجرة فتحدث (ضجة) بحنجرتها، ولسانها، وشفتيها: فيقفز جاك من على السور، ويتسلق الشجرة، ويقتطف التفاحة، ويحضرها لجيل، ويضعها فى يدها. فتأكل جيل التفاحة " [٣].

هذه الأحداث التى تمت موضوع للدارسة من جوانب مختلفة، ولكن الذى يعنينا لغويا هو (الحدث الكلامى). وإذا نظرنا إلى هذه الواقعة من هذه الوجهة اتضح أنها تتكون من ثلاثة أقسام:

١- الأحداث العملية السابقة على الحدث الكلامى.

٢- الكلام.

٣- الأحداث العملية التى تلى الحدث الكلامى.

نبدأ بالأحداث العملية فى المثال السابق وهى ما يسبق الكلام وما يليه:-

---

(١) علم الدلالة ٥٩، ٦٠.

(٢) دور الكلمة فى اللغة هامش ص ٧٤، وانظر: دراسات فى علم اللغة القسم الثانى ١٦٥، وعلم الدلالة ٦١.

(٣) علم اللغة مقدمة للقارئ العربى ٣٠٥، ٣٠٦.

الأحداث الأولى تتعلق بجيل خاصة؛ حيث إنها كانت جائعة، أى إن بعض عضلاتها كانت متقلصة ... وربما كانت عطشى، فكان لسانها وحلقها جافين. أثرت فى عينيها الموجات الضوئية المنعكسة من التفاحة الحمراء. رأت جاك إلى جوارها، وعلاقتها السابقة بجاك تصبح الآن ذات أثر ليكن أخا لها أو زوجا كل هذه الأحداث التى تسبق كلام جيل وتخصها نسميها (مثيرا) أو(منبها) للمتكلم.

أما الأحداث العملية التى تلى كلام جيل فتتعلق بوجه خاص بالسامع (جاك) وتتكون من إحضاره التفاحة وإعطائها لجيل. هذه الأحداث نسميها استجابة السامع.

والأحداث التى تلى الكلام تهم (جيل) كذلك إنها تأخذ التفاحة فى قبضة يدها وتأكلها.

والقسم الثانى من أقسام القصة، (الكلام) وهو الذى يعنينا نحن دارسى اللغة بصفة خاصة، فنحن لا نهتم بالقسمين الأول والثانى إلا لما لهما من علاقة بالكلام.

وتمت عملية الكلام من الناحية الصوتية كالآتى:

١- قام جهاز نطق جيل بحركات عضلية معينة لإصدار هذه الأصوات.

وهذه الحركات العضلية التى يفعلها المتكلم تعد (رد فعل) لـ (مثير)، وهو رؤية جيل للتفاحة وهى جائعة. ورد الفعل فى مثالنا هذا ليس رد فعل عملى، بأن تحاول جيل أن تثب من على السور لتحضر التفاحة لنفسها، بل هو (رد فعل بدلى لغوى) أى أن الكلام حل محل العمل الذى كان من المحتمل أن يصدر عنها.

٢- الموجات الصوتية الخارجة من فم جيل جعلت الهواء المحيط يضطرب على شكل موجات مماثلة.

٣- طرقت هذه الموجات الصوتية طبلتى أذنى جاك، وذبذبتهما وأثرت هذه الذبذبات فى أعصابه، فسلك السلوك الذى ذكرناه.

ونحن طلبة اللغة إنما يهمنا الحدث الكلامى نفسه والحدث الكلامى ربما يكون تافها أو عديم القيمة فى ذاته، ولكنه وسيلة لغايات عظمى، ومن هنا يصبح هذا الشىء التافه جليل القدر عظيم الفائدة لارتباطه بأشياء هى غايات سامية. والمعنى اللغوى يتكون من هذه الأشياء المهمة التى يرتبط بها الكلام؛ أى من الأحداث العملية (التى تكون القسمين الأول والثالث من قصة جاك وجيل والتفاحة)[١].

من إيجابيات هذا المنهج الذى طبقه بلومفيلد على اللغة أنه أدخل فى اعتباره بعض العناصر غير اللغوية المتصلة بالكلام، واعتبرها عنصرا لازما لإدراك معنى الكلام. " فالمدرسة السلوكية لا تتجاهل بعض ما نسميه العناصر الاجتماعية، ولكنها تعبر عنها بمصطلحات خاصة بها: إنها لا تتجاهل فى الحقيقة شخصية المتكلم، وشخصية السامع، وبعض الظروف المحيطة بالكلام بل إن هذه المدرسة بعنايتها بتحليل المظاهر الفسيولوجية والفيزيقية خاصة قد وجهت عناية اللغويين نحو ربط المعنى بمجالات غير الكلام، مجالات تستلزم التحليل على مستويات خاصة " [٢].

أما ما وجه إلى هذا المنهج من نقد فهو أنه ينظر إلى المعنى " كما لو كان مجموعة من المثيرات والاستجابات الآلية؛ إذ لا يمكن تجريد الكلام من العوامل الإنسانية كالدوافع والرغبات التى ينبئ عنها" [٣].

---

(١) انظر: علم اللغة مقدمة للقارئ العربى ٣٠٦ – ٣٠٩.

(٢) علم اللغة مقدمة للقارئ العربى ٣٠٩.

(٣) دور الكلمة فى اللغة هامش ص ٧٥.

ثالثاً: المنهج الاجتماعى

فى الدراسات اللغوية مدرستان اجتماعيتان: المدرسة الاجتماعية السويسرية الفرنسية؛ ويعد دى سوسير مؤسسها، والمدرسة الاجتماعية الإنجليزية؛ ويعد فيرث زعيمها، وإليك توضيحا لمنهج **كلتا المدرستين:**

(١) المدرسة الاجتماعية السويسرية الفرنسية:

لقد بنى دى سوسير نظريته الاجتماعية على أساس نظرية دوركيم الاجتماعية، التى تعتبر نشاط الجماعة أو النشاط الجماعى مستقلا عن أى فرد من الأفراد الذين ينتمون إلى المجتمع، ويقرر دوركيم أيضا أن الظواهر الاجتماعية لها وجود خاص بها، واللغة ظاهرة من جملة الظواهر الاجتماعية، لأنها أداة للتعبير عما يدور فى المجتمع.

والذى قرره دوركيم عن الظاهرة الاجتماعية يصدق على اللغة فى نظرية دى سوسير اللغوية[١].

لقد فرق دى سوسير **<u>بين ثلاثة مصطلحات</u>**[٢]:

أ- اللغة (le langage):يقصد بها الظاهرة الإنسانية العامة؛ أى الملكة التى يتميز بها الإنسان عن غيره من أنواع المملكة الحيوانية.

وهذه اللغة ليست لسان قوم بعينهم، ولا يمكن أن ينسب إليها أصوات معينة، ولا نظام صرفى معين، ولا نظام نحوى خاص، وليس لها معجم ولا تؤلف بها جمل؛ لأنها مجرد ملكة وقدرة واستعداد عقلى وعضوى لدى الإنسان يميزه عن غيره من الحيوان.

---

(١) انظر: علم اللغة مقدمة للقارئ العربى ٣٠١.

(٢) انظر: علم اللغة مقدمة للقارئ العربى ٣٠١، ٣٠٢، ومحاضرات فى علم اللغة للأستاذ الدكتور تمام حسان ألقاها على طلاب الدراسات العليا بكلية الآداب بقنا، والمدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوى ١٨٤، ودور الكلمة فى اللغة ٣٢، وفصول فى علم اللغة العام ف . دى سوسير نقله إلى العربية د. أحمد نعيم الكراعين ٢٩- ٤٢ .

ب– اللسان (la langue) هو كل واحدة من اللغات الإنسانية على حدة، أى هو اللغة المعينة، وهو بذلك ظاهرة اجتماعية مقيدة بمجتمع محدد. أو هو منظمة رمزية مركبة من أنظمة؛ إذ إنه مكون من أنظمة هى: النظام الصوتى والصرفى والنحوى إلى جانب حشد من الكلمات التى تتحقق هذه الأنظمة من خلالها. هذه الأنظمة تصفها القواعد، ومن ثم لا تتضح صورة اللسان إلا من خلال كتب القواعد، والقواعد ساكنة صامتة فى بطون الكتب، إذا اللسان ساكن صامت لا يمكن له أن يتحرك أو يصل إلى السامع إلا من خلال الكلام.

ويتميز اللسان بأنه اجتماعى فى جوهره ومستقل عن الفرد، وأنه مستودع العلامات، وأنه مجموع العادات اللغوية التى تتحقق فيما يسميه دى سوسير (Laparole).

جـ– الكلام (La parole) عند دى سوسير الجانب العملى للسان(اللغة المعينة)؛ لأنه تعبير عنها بالأصوات المنطوقة بالفعل أو بالعلامات المكتوبة، وهو واقع تحت سيطرة الفرد.

أما نظرية دى سوير عن الرمز (signifiant) والمقصود(signifie) فملخصها[1] أن دى سوسير يرى أنه يكفى فى دراسة القيمة اللغوية دراسة عنصرين هما: الصوت والفكرة، ومن المتفق عليه عند الفلاسفة واللغويين أن الإنسان لا يستطيع أن يفرق بين فكرتين تفريقا حقيقيا بدون علامات لغوية؛ أى كلمات؛ فالتفكير بلا كلمات عائم. وليس فى الفكر ما يفرض شكلا معينا للرموز الصوتية؛ لأن الرموز موضوعة وضعا اعتباطيا. وليست وظيفة اللغة فى هذا أن تخلق وسطا صوتيا للتعبير عن الأفكار، ولكنها تقوم بدور الوسيط بين الفكرة والصوت فى حالة تدعو كلا منهما إلى الآخر. والمعنى بهذا الاعتبار علاقة متبادلة بين الاسم والفكرة تجعلهما يتداعيان.

---

(١) انظر: فصول فى علم اللغة العام ١٢١ – ١٢٩، ومناهج البحث فى اللغة ٢٤٤ – ٢٤٦، وعلم اللغة مقدمة للقارئ العربى ٣٠٣ .

ما الفرق بين قيمة الكلمة والقصد ؟ وهل هما مترادفان ؟

دى سوسير لا يعتقد ذلك؛ لأن القيمة من ناحيتها الفكرية عنصر من عناصر القصد، وتوضيح ذلك فى المثال الآتى:

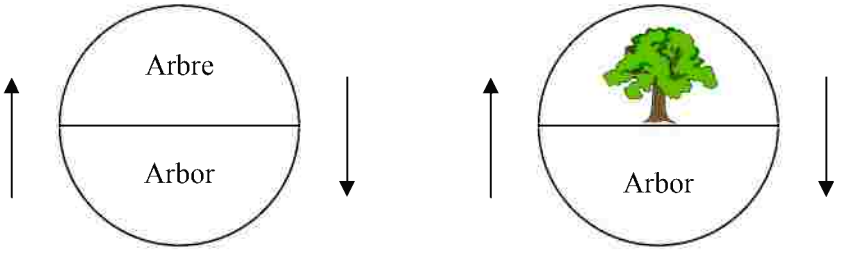

كلمة (arbor) اللاتينية تدل على (arbre) شجرة وواضح أن هذه العلاقة تبدو مؤيدة بعنصر الواقع.

وليتضح الأمر نطرح ما يمكن تخيله؛ حيث إن العلاقات اللغوية نفسية ذات وجهين، يمكن أن نمثلهما كما يأتى:

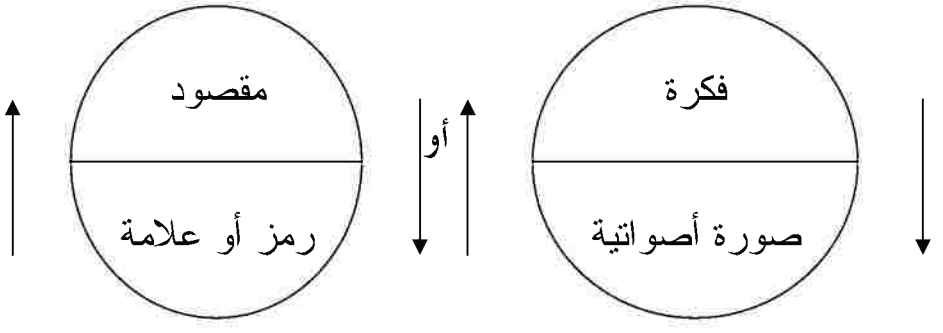

يمثل السهمان تشابك العلاقات، والتداعى بين العنصرين فالعلاقة كائنة بين الفكرة والصورة الأصواتية، فى حدود الكلمة التى تعتبر مجالا مقفلا موجودا بنفسه. و(المقصود) يقابل (الرمز) أو (العلامة)؛ والعلامة من ناحية أخرى تقابل سائر العلامات الموجودة فى اللغة موضوع الدرس؛ وقيمة كل رمز أو علامة تتوقف على وجود سائر الرموز.

ويضرب دى سوسير لذلك مثلا بقطعة ذات خمسة فرنكات، هذه القطعة يمكن استبدالها بكمية معينة من شىء مختلف كالخبز مثلا؛ ونستطيع كذلك أن نقارنها

بقيمة مماثلة من نفس نظام العملة؛ كقطعة ذات فرنك واحد مثلا أو قطعة من عملة أخرى كالدولار.

ويجرى نفس الشيء مع الكلمة حيث يمكن تغييرها بفكرة أو بكلمة أخرى؛ فقيمة الكلمة غير ثابتة. ويضرب دى سوسير لذلك مثلا بالكلمة الفرنسية (mouton) فى مقابل الكلمة الإنجليزية (sheep)؛ فيمكن أن تؤدى الكلمة الفرنسية نفس القصد الذى تؤديه الكلمة الإنجليزية، ولكنها لا تتفق معها فى القيمة، وهذا لأسباب متعددة، أهمها أن الإنجليزى حين يتكلم عن قطعة لحم من الضأن تقدم على مائدته يسميها (mutton) ولا يسميها (sheep)؛ فالفرق فى القيمة بين الكلمتين يتمثل فى أن الكلمة الإنجليزية تستخدم إلى جانبها كلمة ثانوية لا تستخدمها الفرنسية.

وقد فرق دى سوسير بين الدراسة الوصفية، والدراسة التاريخية فى اللغة واتخذ منهجا علميا لدراسة المعنى عن طريق الوصف فى عنصر معين أو بيئة معينة وعن طريق التاريخ دراسة تحليلية تطورية.

وقد أثر دى سوسير الذى يعد رائد الدراسة اللغوية الاجتماعية بهذا الرأى وغيره فى المدارس اللغوية، وبخاصة المدرسة الفرنسية التى من أعضائها فندريس ومييه.

(٣) المدرسة الاجتماعية الإنجليزية

مؤسس هذه المدرسة هو العالم الإنجليزى فيرث، الذى اشتهر برفضه كل المناهج والأساليب التقليدية فى بحث اللغة، وابتكر لنفسه منهجا يمتاز بالبعد عن كل الأفكار الفلسفية والمنطقية والنفسية وغيرها مما يعد أجنبيا عن التفكير اللغوى الذى ارتضاه.

وهذه المدرسة التى أسسها فيرث ينعتها الدكتور كمال بشر بأنها المدرسة الشكلية التركيبية ويشرح ذلك النعت بأنها طريقة من البحث تعنى فى المقام الأول بتسجيل الحقائق اللغوية وفقا للصور الشكلية، والأنماط الحقيقية للصيغ

الكلامية فى التركيب[١]. ولكن هذه المدرسة اللندنية عرفت بما يسمى بالمنهج السياقى أو المنهج العملى، ومعنى الكلمة عند أصحاب هذا المنهج هو استعمالها فى اللغة أو الدور الذى تؤديه، ويصرح فيرث بأن المعنى لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية؛ أى وضعها فى سياقات مختلفة[٢].

ويشرح أصحاب نظرية السياق وجهة نظرهم بقولهم: "معظم الوحدات الدلالية تقع فى مجاورة وحدات أخرى، وإن معانى هذه الوحدات لا يمكن وصفها إلا بملاحظة الوحدات الأخرى التى تقع مجاورة لها"[٣].

وهذا المنهج له حدود وأركان رئيسية تتمثل فى ثلاثة أمور عينها فيرث وأوجب اتباعها فى كل مراحل الدراسات اللغوية، وفى دراسة المعنى بصفة خاصة.

هذه الأركان الثلاثة هى[٤]:

أولاً: وجوب اعتماد كل تحليل لغوى على ما يسميه بالمقام أو سياق الحال (context of situation) مع ملاحظة كل ما يتصل بهذا المقام من عناصر أو ظروف وملابسات وقت الكلام الفعلى. هذه العناصر أو الظروف.

والملابسات هى:

أ - الظواهر المتصلة بالمشتركين فى الكلام، والاستماع مع الاهتمام بأشخاصهم وشخصياتهم، **وهذا يشمل:**

١- الكلام الفعلى نفسه.

٢- أعمال هؤلاء المشتركين فى الكلام وسلوكهم.

ب - الأشياء والموضوعات المناسبة المتصلة بالكلام والموقف.

---

(١) انظر: دراسات فى علم اللغة القسم الثانى ١٧٢ .

(٢) انظر: علم الدلالة ٦٨ .

(٣) علم الدلالة ٦٨، ٦٩ .

(٤) انظر: دراسات فى علم اللغة القسم الثانى ١٧٢ – ١٧٤، وعلم اللغة مقدمة للقارئ العربى ٣١٠ – ٣١٣، ودراسة المعنى عند الأصوليين ٢١٤ – ٢١٨ .

جـ– أثر الكلام الفعلى فى المشتركين؛ كالاقتناع أو الألم أو الإغراء أو الضحك ... الخ.

د – العوامل والظواهر الاجتماعية ذات العلاقة باللغة، وبالسلوك اللغوى لمن يشارك فى الموقف الكلامى؛ كمكان الكلام وزمانه، والوضع السياسى وحالة الجو إن كان لها دخل، وكل ما يطرأ أثناء الكلام مما يتصل بالموقف الكلامى أيا كانت درجة تعلقه به. وهكذا فإن الاهتمام بسياق الحال بالإضافة إلى سياق اللفظ ضرورى للوصول إلى المعنى الدقيق.

ثانياً: وجوب تحديد بيئة الكلام المدروس وصيغته، حتى لا يحدث خلط بين لغة وأخرى، أو لهجة وأخرى. وهذا ما تقتضيه الدراسة الوصفية؛ حيث توجب أن تكون الدراسة مقصورة على مستوى كلامى واحد؛ كلغة المثقفين أو لغة العوام أو لغة النثر أو لغة الشعر، ولا يجوز الخلط بين هذه اللغات أو تلك الأساليب.

وهذا ما يمكن أن يسمى بالسياق الثقافى (context of culture).

ثالثاً: وجوب النظر إلى الكلام اللغوى على مراحل؛ لأنه مكون من أحداث لغوية مركبة ومعقدة، وتحليله على هذا المنهج أيسر وأسلم حيث تقود كل مرحلة إلى التى تليها، وهذه المراحل هى فروع علم اللغة، والنتائج التى تصل إليها هذه الفروع هى مجموع خواص الكلام المدروس.

وهذه الفروع وثيقة الصلة فيما بينها، وغايتها بيان المعنى اللغوى.

فالمعنى اللغوى عند فيرث – له وسائله الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية والوظيفة الدلالية لسياق الحال، وللوصول إلى المعنى لا بد من الربط بين النتائج التى تنتهى إليها هذه التحليلات جميعا ربطا يدخل فى اعتباره كل عناصر سياق الحال.

"وهكذا فالأستاذ فيرث يرى أن الوصول إلى معنى أى نص **لغوى يستلزم:**

١ – أن يحلل النص اللغوى على المستويات اللغوية المختلفة(الصوتية والفونولوجية) والمورفولوجية، والنظمية، والمعجمية).

٢ – أن يبين سياق الحال (= الماجريات): شخصية المتكلم؛ شخصية السامع؛ جميع الظروف المحيطة بالكلام ٠٠ إلخ.

٣ – أن يبين نوع الوظيفة الكلامية: تمن، إغراء ٠٠ الخ.

٤ – وأخيرا يذكر الأثر الذى يتركه الكلام: ضحك، تصديق، سخرية ٠٠ الخ"[١].

إن أهمية نظرية السياق تتمثل فى عنايتها بالشق الاجتماعى للمعنى، وهو ما يسمى بسياق الحال؛ لأن إجلاء المعنى على المستويات اللغوية لا يعطينا إلا معنى (المقال) أو (المعنى الحرفى) وهو معنى فارغ تماما من محتواه الاجتماعى والتاريخى منعزل تماما عن كل ما يحيط بالنص من القرائن الحالية ذات الفائدة الكبرى فى تحديد المعنى، ولذلك يجب الاهتمام به، ومن ثم فإن المعنى الدلالى **يشمل جانبين: أولهما:** يتمثل فى المقال، والآخر فى المقام أو سياق الحال[٢].

" والمقال وحده لا يكون محدد الدلالة إلا بمعونة مقامه؛ أى الشق الاجتماعى المصاحب له؛ فعبارة متداولة مثل: (أهلا وسهلا) وهى تقال عادة فى الترحيب قد يفهم منها فى المواقف الكلامية المختلفة غير ذلك؛ فحين يقولها رئيس لموظفيه الذين حضروا متأخرين عن موعد عملهم بطريقة معينة تدل على التوبيخ، وفى مواقف أخرى قد تدل على السخرية أو التهكم أو الشماتة ٠٠

إن استصحاب سياق الحال ضرورى لدراسة النصوص اللغوية المكتوبة التى فقدت عنصرا هاما من عناصر السياق يتمثل فى الأداء الصوتى، وعلى قدر ما يمكننا استحضاره من عناصره يكون فهمنا للمعنى من حيث الدقة والوضوح"[٣].

---

(١) علم اللغة مقدمة للقارئ العربى ٣١٢ .

(٢) انظر: اللغة العربية معناها ومبناها ٣٣٧ – ٣٣٩ .

(٣) دراسة المعنى عند الأصوليين ٢١٧، ٢١٨ .

المحدثون ونظرية السياق:

لقد تنبه اللغويون المحدثون إلى أهمية السياق، ولفتوا الأنظار إليه من هؤلاء: فندريس فى بداية القرن العشرين غير أنه لم يعن بإبراز الشق الاجتماعى؛ أى العناصر غير اللغوية.

يقول: " إننا حينما نقول بأن لإحدى الكلمات أكثر من معنى واحد فى وقت واحد نكون ضحايا الانخداع إلى حد ما. إذ لا يطفو فى الشعور من المعانى المختلفة التى تدل عليها إحدى الكلمات إلا المعنى الذى يعينه سياق النص "(١)، ويقول فى موضع آخر:" الذى يعين قيمة الكلمة ... إنما هو السياق إذ إن الكلمة توجد فى كل مرة تستعمل فيها فى جو يحدد معناها تحديدا مؤقتا، والسياق هو الذى يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة بالرغم من المعانى المتنوعة التى فى وسعها أن تدل عليها؛ والسياق أيضا هو الذى يخلص الكلمة من الدلالات الماضية التى تدعها الذاكرة تتراكم عليها، وهو الذى يخلق لها قيمة حضورية، ولكن الكلمة بكل المعانى الكامنة توجد فى الذهن مستقلة عن جميع الاستعمالات التى تستعمل فيها مستعدة للخروج والتشكل بحسب الظروف التى تدعوها"(٢).

ومن اللغويين المحدثين ستيفن أولمان الذى بين أهمية السياق فى فهم النصوص اللغوية المنطوقة والمكتوبة، ويرى أن السياق فى معناه التقليدى، وهو النظم اللفظى للكلمة وموقعها من ذلك النظم قاصر فى أداء المعنى بل لا بد أن يشمل " لا الكلمات والجمل الحقيقية السابقة واللاحقة فحسب بل والقطعة كلها والكتاب كله، كما ينبغى أن يشمل – بوجه من الوجوه – كل ما يتصل بالكلمة من ظروف وملابسات. والعناصر غير اللغوية المتعلقة بالمقام الذى تنطق فيه الكلمة لها هى الأخرى أهميتها البالغة فى هذا الشأن"(٣) ويضيف أولمان إلى ذلك

---

(١) اللغة ٢٢٨ .

(٢) اللغة ٢٣١، ٢٣٢ .

(٣) دور الكلمة فى اللغة ٦٢ .

أنه لم يعارض أحد معارضة جدية فى تأثير هذه العوامل جميعها على المعنى الدقيق للكلمات، وأنه لو روعى السياق بدقة واطراد أكثر لأمكن التخلص من الاقتباسات والترجمات والتفسيرات الكثيرة الخاطئة[1]. وينتهى أولمان إلى " أن نظرية السياق – إذا طبقت بحكمة – تمثل حجر الأساس فى علم المعنى.

وقد قادت بالفعل إلى الحصول على مجموعة من النتائج الباهرة فى هذا الشأن. إنها مثلا قد أحدثت ثورة فى طرق التحليل الأدبى. ومكنت الدراسة التاريخية للمعنى من الاستناد إلى أسس حديثة أكثر ثباتا. كما أنها قدمت لنا وسائل فنية حديثة لتحديد معانى الكلمات ... وفوق هذا كله قد وضعت لنا نظرية السياق مقاييس لشرح الكلمات وتوضيحها عن طريق التمسك بما سماه الأستاذ فيرث: ترتيب الحقائق فى سلسلة من السياقات، أى سياقات، كل واحد منها ينطوى تحت سياق آخر، ولكل واحد منها وظيفة بنفسه. وهو عضو فى سياق أكبر، وفى كل السياقات الأخرى، وله مكانه الخاص فيما يمكن أن نسميه سياق الثقافة. والحق أن هذا المنهج طموح إلى درجة لا نستطيع معها فى كثير من الأحايين إلا تحقيق جانب واحد منه فقط، ولكنه مع ذلك يمدنا بمعايير تمكننا من الحكم على النتائج الحقيقية حكما صحيحا"[2].

القدماء والسياق:

لقد اهتم علماؤنا القدماء بالسياق بشقيه اللغوى والاجتماعى أو المقالى والمقامى فى أربع من البيئات العلمية الإسلامية المعنية بدراسة النصوص اللغوية، وهى بيئات اللغويين، والبلاغيين، والمفسرين، والأصوليين **كالآتى:**

أولاً: اللغويون والسياق:

لقد تنبه علماء العربية القدماء إلى السياق وأهميته، من هؤلاء عالم العربية ابن جنى فى سفره الجليل الخصائص يقول: " والذى يدل على أنهم قد أحسوا ما

---

(١) انظر: دور الكلمة فى اللغة ٦٢ .

(٢) دور الكلمة فى اللغة ٦٦، ٦٧ .

أحسسنا وأرادوا وقصدوا ما نسبنا إليهم إرادته وقصده شيئان: أحدهما حاضر معنا، والآخر غائب عنا، إلا أنه مع أدنى تأمل فى حكم الحاضر معنا.

فالغائب ما كانت الجماعة من علمائنا تشاهده من أحوال العرب ووجوهها وتضطر إلى معرفته من أغراضها وقصودها: من استخفافها شيئا أو استثقاله، وتقبله أو إنكاره، والأنس به أو الاستيحاش منه، والرضا به، أو التعجب من قائله، وغير ذلك من الأحوال الشاهدة بالقصود، بل الحالفة على ما فى النفوس؛ ألا ترى إلى قوله [الطويل]:

تقول – وصكت وجهها بيمينها- أبعلى هذا بالرحى المتقاعسُ !

فلو قال حاكيا عنها: أبعلى هذا بالرحى المتقاعس – من غير أن يذكر صك الوجه – لأعلمنا بذلك أنها كانت متعجبة منكرة، لكنه لما حكى الحال فقال: (وصكت وجهها) علم بذلك قوة إنكارها وتعاظم الصورة لها. هذا مع أنك سامع لحكاية الحال، غير مشاهد لها، ولو شاهدتها لكنت بها أعرف، ولعظم الحال فى نفس تلك المرأة أبين، وقد قيل (ليس المخبر كالمعاين) ولو لم ينقل إلينا هذا الشاعر حال هذه المرأة بقوله: وصكت وجهها لم نعرف به حقيقة تعاظم الأمر لها "[1].

لقد تحدث ابن جنى عن سياق الحال، وأشار إلى أمرين: أولهما الحدث الكلامى بقولها:(أبعلى هذا بالرحى المتقاعس!) أى أنها تستنكر هذا الأمر بقولها.

وثانيهما: الحدث غير الكلامى، ويمثله قول الشاعر (وصكت وجهها بيمينها ثم يشير ابن جنى إلى أثر الحدث الكلامى وغير الكلامى بقوله: " إن من سمع كلامها مباشرة أى قولها(أبعلى هذا بالرحى المتقاعس!) وشاهدوها تصك وجهها بيديها فى الوقت نفسه سيكون أشد تأثرا وبحالها أكثر معرفة بفعل هذين الحدثين وقد قيل: ليس المخبر كالمعاين، ولو لم ينقل إلينا هذا الشاعر حال هذه المرأة

---

(١) الخصائص ١/٢٤٥، ٢٤٦ .

بقوله: (وصكت وجهها) لم نعرف به حقيقة تعاظم الأمر لها " ثم يقول: " وليست كل حكاية تروى لنا، ولا كل خبر ينقل إلينا يشفع به شرح الأحوال التابعة له المقترنة – كانت – به. نعم ولو نقلت إلينا لم نفد بسماعها ما كنا نفيده لو حضرناها"[1].

لقد أشار فيرث إلى وجوب الإحاطة بكل الأحداث وثيقة الصلة بالموقف، وقد أشار إلى ذلك ابن جنى من قرون طويلة؛ حيث يقول "وكذلك قول الآخر:

قلنا لها قفى لنا قالت قاف

لو نقل إلينا هذا الشاعر شيئا آخر من جملة الحال فقال مع قوله: قالت قاف: (وأمسكت بزمام بعيرها) أو(عاجته علينا) لكان أبين لما كانوا عليه، وأدل على أنها أرادت: وقفت أو توقفت، دون أن يظن أنها أرادت: قفى لنا ! أى يقول لى: قفى لنا ! متعجبة منه. وهو إذا شاهدها وقد وقفت علم أن قولها: (قاف) إجابة له، لا رد لقوله وتعجب منه فى قوله (قفى لنا) "[2].

ثم يقول مبينا الأحداث غير الكلامية " وعلى ذلك قال [البسيط]:

العين تبدى الذى فى نفس صاحبها من العداوة أو ود إذا كانا

وقال الهذلى [الطويل]:

رفونى وقالوا يا خويلد لا ترع فقلت – وأنكرت الوجوه – هم هم

أفلا ترى إلى اعتباره بمشاهدة الوجوه، وجعلها دليلا على ما فى النفوس.

وعلى ذلك قالوا: رب إشارة أبلغ من عبارة ٠٠٠فليت شعرى إذا شاهد أبو عمرو وابن أبى إسحاق، ويونس وعيسى بن عمر، والخليل، وسيبويه، وأبو الحسن، وأبو زيد، وخلف الأحمر، والأصمعى، ومن فى الطبقة والوقت من علماء البلدين وجوه العرب فيما تتعاطاه من كلامها، وتقصد له من أغراضها، ألا تستفيد بتلك المشاهدة، وذلك الحضور ما لا تؤديه الحكايات، ولا تضبطه الروايات، فتضطر

---

(١) خصائص ١/٢٤٦ .

(٢) الخصائص ١/٢٤٦ .

إلى قصود العرب، وغوامض ما فى أنفسها، حتى لو حلف منهم حالف على غرض دلته عليه إشارة، لا عبارة، لكان عند نفسه، وعند جميع من يحضر حاله صادقا فيه، غير متهم بالرأى والنحيزة والعقل.

فهذا حديث ما غاب عنا فلم ينقل إلينا، وكأنه حاضر معنا، مناج لنا "[1].

ابن جنى يؤكد بكلامه السابق أهمية الأحداث غير الكلامية، فالإشارة والحركات التى تصاحبها، والانفعالات وتغير الوجه، وكل ما يصاحب ذلك من حدث غير كلامى له أثره الكبير فى الدلالة.

ثانيًا: البلاغيون والسياق:

لقد اهتم البلاغيون بسياق الحال، وهو ما سموه بالمقام؛ وهو الشق الاجتماعى من شقى السياق العام، فمقام الفخر غير مقام المدح، وهما يختلفان عن مقام الدعاء أو الاستعطاف أو الهجاء ... أو غير ذلك، وعبارتهم المشهورة: (لكل مقام مقال) تدل على تمييزهم بين شقى السياق، وهذا التمييز ضرورى فى تحليل المعنى[2].

يتضح إدراك البلاغيين لأثر سياق الحال فى إجلاء المعنى وتوضيحه "وكيف يتغير معنى العبارة الواحدة بتغير المقام (الموقف الكلامى) ففى قوله تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾[3] معنى العبارة فى السياق القرآنى يقتضى محذوفا، والتقدير: واسأل أهل القرية، على نحو الحذف فى قول العرب: بنو فلان يطؤهم الطريق؛ أى: أهل الطريق، لكن هذه العبارة فى مقام آخر لا تحتمل هذا الحذف؛ وذلك إذا كانت فى كلام رجل مر بقرية قد خربت وباد أهلها، فأراد أن يقول لصاحبه واعظا ومذكرا، أو لنفسه متعظا ومعتبرا: سل القرية عن أهلها، وقل لهم: ما

---

(١) الخصائص ١/٢٤٧، ٢٤٨ .

(٢) انظر: اللغة العربية معناها ومبناها ٣٣٧ .

(٣) يوسف ٨٢ .

صنعوا، على حد قولهم: سل الأرض من شق أنهارك، وغرس أشجارك، وجنى ثمارك"[1].

ويبين عبد القاهر الجرجانى أثر السياق الثقافى فى التمييز بين الحقيقة والمجاز، وهو أمر وثيق الصلة بإجلاء المعنى لأن الوقوف على ثقافة المتكلم ومعتقداته يبين ذلك، يتضح ذلك من تعليقه على البيتين الآتيين يقول:" فإذا سمعنا نحو قوله [المتقارب]:

أشاب الصغير وأفنى الكبير ... كر الغداة ومر العشى

وقول أبى الإصبع [البسيط]:

أهلكنا الليل والنهار معا ... والدهر يغدو مصمما جذعا

كان طريق الحكم عليه بالمجاز أن تعلم اعتقاد التوحيد إما بمعرفة أحوالهم السابقة أو بأن تجد فى كلامهم من بعد إطلاق هذا النحو ما يكشف عن قصد المجاز فيه"[2]. " وهو يريد أن يبين بذلك أن الشاعرين لو ثبت من معتقدهما نسبة هذه الأفعال للزمن، فالتعبير حقيقة، على نحو ما ورد فى قوله تعالى حكاية عن صنف من الكفار: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾[3] أما إذا ثبت اعتقادهما للإسلام، فإن نسبة هذه الأفعال إلى الدهر مجاز فى التعبير منهما "[4].

وعناية البلاغيين بالسياق اللفظى أوضح وأغلب على عملهم من العناية بالجانب المقامى وبيان أثره وتفصيل عناصره.

ثالثًا: المفسرون والسياق:

وضع العلماء شروطا للمفسر تتمثل فى إتقانه لمجموعة من العلوم اللغوية والشرعية، هذه العلوم أشبه ما تكون بمراحل التحليل المذكورة فى نظرية

---

(١) دراسة المعنى عند الأصوليين ٢٢٣، ٢٢٤ .

(٢) أسرار البلاغة ٣٣٧، ٣٣٨.

(٣) الجاثية ٢٤ .

(٤) دراسة المعنى عند الأصوليين ٢٢٤ .

السياق، منها ما يتصل بالتحليل الصوتى ويتمثل ذلك فى اشتراطهم أن يكون عالما بالقراءات؛ لأن علم القراءات " به يعرف كيفية النطق بالقرآن، وبالقراءات يترجح بعض الوجوه المحتملة على بعض"(١). ومنها ما يتصل بالتحليل الصرفى؛ وهو إتقان التصريف؛ " لأن به تعرف الأبنية، والصيغ، قال ابن فارس: ومن فاته علمه فاته المعظم؛ لأن (وجد) مثلا كلمة مبهمة، فإذا صرفناها اتضحت بمصادرها"(٢). ومعرفة الاشتقاق " لأن الاسم كان اشتقاقه من مادتين مختلفتين اختلف المعنى باختلافهما؛ كالمسيح هل هو من السياحة أو المسح؟"(٣).

ومنها ما يتصل بالتراكيب؛ وهو إتقان النحو " لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الإعراب"(٤)، وإتقان المعانى والبيان والبديع " لأنه يعرف بالأول خواص تراكيب الكلام من جهة إفادتها المعنى، وبالثانى خواصها من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة وخفائها، وبالثالث وجوه تحسين الكلام.

هذه العلوم الثلاثة هى علوم البلاغة؛ وهى من أعظم أركان المفسر؛ لأنه لا بد له من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز. وإنما يدرك بهذه العلوم"(٥).

ومنها ما يتصل بالمعجم؛ وهو اللغة " لأن بها يعرف شرح مفردات الألفاظ، ومدلالوتها بحسب الوضع"(٦)، ويهتم العلماء بإتقان اللغة اهتماما كبيرا " روى البيهقى فى الشعب عن مالك، قال: لا أوتى برجل غير عالم بلغة العرب يفسر كتاب الله إلا جعلته نكالا"(٧)، وقال مجاهد :" لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم فى كتاب الله إذا لم يكن عالما بلغات العرب"(٨).

---

(١) الإتقان فى علوم القرآن ٤/٢١٥ .
(٢) الإتقان فى علوم القرآن ٤/٢١٣.
(٣) الإتقان فى علوم القرآن٤/٢١٤.
(٤) الإتقان فى علوم القرآن ٤/٢١٣.
(٥) الإتقان فى علوم القرآن ٤/٢١٤.
(٦) الإتقان فى علوم القرآن ٤/٢١٣.
(٧) الإتقان فى علوم القرآن ٤/٢٠٩.
(٨) الإتقان فى علوم القرآن٤/٢١٣.

ومنها ما يتصل بسياق الحال؛ وهو معرفة أسباب النزول، وهى الأحداث والوقائع الملابسة للنص القرآنى، وكذلك معرفة المكى والمدنى، والترتيب الزمنى لنزول الآيات.

ومما هو بسبب من السياق العام اشتراطهم استحضار النص القرآنى جميعه عند تفسير بعضه، فمن أراد " تفسير الكتاب العزيز طلبه أولا من القرآن، فما أجمل منه فى مكان فقد فسر فى موضع آخر، وما اختصر فى مكان فقد بسط فى موضع آخر منه"[1] يضاف إلى ذلك السنة " فإنها شارحة للقرآن، وموضحة له، وقد قال الشافعى ﷺ: كل ما حكم به رسول الله ﷺ فهو مما فهمه من القرآن قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ﴾ [2].

وقال ﷺ: **(ألا إنى أوتيت القرآن ومثله معه)** يعنى السنة، فإن لم يجده فى السنة رجع إلى أقوال الصحابة؛ فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرائن والأحوال عند نزوله، ولما اختصوا به من الفهم التام، والعلم الصحيح والعمل الصالح "[3].

هذا بالإضافة إلى العلوم الأخرى المشترطة فى المفسر؛ وهى أصول الدين، وأصول الفقه، والناسخ والمنسوخ، والفقه، وعلم الموهبة؛ وهو علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم، وإليه الإشارة بحديث: **(من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم)**[4].

إن الشروط التى اشترطت فى المفسر تكشف لنا عن إدراك المفسرين لعناصر السياق اللفظية والحالية، وأثرها فى الكشف عن المعنى.

---

(١) الإتقان ٤/٢٠٠.

(٢) النساء : ١٠٥.

(٣) الإتقان ٤/٢٠٠ .

(٤) انظر: الإتقان فى علوم القرآن ٤/٢١٥.

الأصوليون والسياق[1]:

لقد فطن الأصوليون إلى أن اللغة ظاهرة اجتماعية، وأنها تؤدى دورا مهما فى المجتمع، وأنها ما نشأت إلا لتلبية حاجات الإنسان فى حياته الاجتماعية، وقد عبروا عن ذلك بما سموه (سبب الوضع) يقول الإمام فخر الدين وأتباعه:" السبب فى وضع الألفاظ أن الإنسان الواحد لا يستقل بجميع حاجاته بل لا بد من التعاون، ولا تعاون إلا بالتعارف، ولا تعارف إلا بأسباب كحركات، أو إشارات، أو نقوش، أو ألفاظ توضع بإزاء المقاصد، وأيسرها وأفيدها، وأعمها الألفاظ"[2].

فاللغة عند الأصوليين نظام من العلامات أرقى من غيره، وقد نشأ فى الأصل تلبية لحاجات المجتمع والصلة عندهم بين الألفاظ والمعانى صلة عرفية اعتباطية

وينبه الأصوليون فى كثير من المواضع إلى أن الألفاظ المفردة والتراكيب تتعرض بسبب السياقات اللفظية والمقامية المختلفة لألوان من التغير الدلالى، ولذلك ينبهون إلى ضرورة الاستعانة بالسياقين اللفظى والحالى، وهو ما تسميه نظرية السياق الموقف الكلامى بجميع عناصره.

" ودراسة الأصوليين للقرائن المخصصة للعام تدل على إدراكهم الواعى لعناصر السياق، أو الموقف الكلامى، وأثرها فى تحديد المعنى، وهى قرائن حالية؛ كالحس والعقل والعرف أى العادة، وقرائن لفظية تشمل السياق اللفظى بمعناه الواسع، حيث يعدون القرآن وما صح من السنة وحدة متكاملة يفسر بعضها بعضا، كما تشمل السياق اللفظى بمعناه الضيق الذى يشمل الآيات أو النصوص المتتالية ولا بد من اعتبار النوعين فى التخصيص "[3].

ومن النصوص الصريحة التى تدل على اعتبار الأصوليين للسياق بمعناه الواسع ما يذكره الإمام الغزالى عن وسائل فهم خطاب الشارع فيذكر أن " طريق

---

(١) لمزيد من التفصيل راجع : دراسة المعنى عند الأصوليين ٢٢٥ – ٢٣٧

(٢) المزهر فى علوم اللغة ٣٨/١.

(٣) دراسة المعنى عند الأصوليين ٢٢٧ .

فهم المراد تقدم المعرفة بوضع اللغة التى بها المخاطبة ... وإن تطرق إليه الاحتمال فلا يعرف المراد منه حقيقة إلا بانضمام قرينة إلى اللفظ، والقرينة إما لفظ مكشوف .. وإما إحالة على دليل العقل ... وإما قرائن أحوال من إشارات ورموز وحركات وسوابق ولواحق لا تدخل تحت الحصر والتخمين يختص بإدراكها المشاهد لها فينقلها المشاهدون من الصحابة إلى التابعين بألفاظ صريحة، أو مع قرائن من ذلك الجنس، أو من جنس آخر حتى توجب علما ضروريا يفهم المراد، أو توجب ظنا ... وعند منكرى صيغة العموم والأمر يتعين تعريف الأمر والاستغراق بالقرائن"[1].

ويرى جماعة من الأصوليين أن صيغ العموم لا دلالة فيها أصلا على العموم؛ أى استغراق جميع أفرادها، وأن هذه الدلالة تابعة للسياق، فقصد الاستغراق " يعلم بعلم ضرورى يحصل عن قرائن أحوال ورموز، وإشارات، وحركات من المتكلم وتغيرات فى وجهه، وأمور معلومة من عادته ومقاصده وقرائن مختلفة لا يمكن حصرها فى جنس، ولا ضبطها بوصف، بل هى كالقرائن التى يعلم بها خجل الخجل، ووجل الوجل، وجبن الجبان، وكما يعلم قصد المتكلم إذا قال: (السلام عليكم) أنه يريد التحية، أو الاستهزاء واللهو، ومن جملة القرائن فعل المتكلم، فإذا قال على المائدة: هات الماء، فهم أنه يريد العذب البارد، دون الحار الملح، وقد تكون دليل العقل ... ومن جملته تكرير الألفاظ المؤكدة، كقوله: اضرب الجناة وأكرم المؤمنين كافتهم ... ولا يزال يؤكد حتى يحصل علم ضرورى بمراده "[2].

فيرث ومالينوفسكى[3]: لقد اعتمد فيرث فى بناء نظريته السياقية على مفاهيم (مالينوفسكى)،وعمد من جهته إلى تطوير هذه المفاهيم والتوسع فيها.

---

(١) دراسة المعنى عند الأصوليين ٢٢٩، ٢٣٠ نقلا عن المستصفى للغزالى ٢٦٨ .

(٢) دراسة المعنى عند الأصوليين ٢٣٠، ٢٣١ نقلا عن المستصفى ٣٢٤، ٣٢٥ .

(٣) اقرأ: علم اللغة مقدمة للقارئ العربى ٣٠٩، ٣١٠، وعلم الدلالة ٧١ .

" فلقد اعتبر مالينوفسكى أن المعطيات الاجتماعية هى بمثابة الخلفية التى يجب الرجوع إليها لتحديد القصد من تلك الكلمات أو الجمل التى قد توحى بأكثر من معنى. فالمعطيات الاجتماعية بهذه المثابة هى أشبه بأداة يستعملها الباحث اللغوى؛ ليتمكن من تحليل أشكال لغوية محددة، وعلى هذا الأساس تبرز نظرية مالينوفسكى دور التأثير الاجتماعى فى اللغة ولكن فى إطار محدود وغير متكامل.

ويذهب فيرث إلى أبعد من ذلك، فيربط اللغة بالمجتمع برباط أوثق حين يعتبر أن الإنسان إنما يتخاطب مع غيره ضمن مواقف اجتماعية مختلفة، تحدد شكل الأسلوب الذى عليه أن يعتمده، ونوعية الكلمات التى عليه اختيارها. وبالتحديد فثمة إطار اجتماعى تستعمل اللغة ضمنه، فتتأثر بمعطياته وتتكيف مع عناصره "[1].

ولقد حدد فيرث العناصر المكونة لهذا الإطار كالآتى[2]:

١ - **العنصر البشرى:** ويشتمل المتكلم والمستمع، مع تأثر أسلوب المتكلم بخلفيته الاجتماعية، وثقافته، ونوعية علاقته بالمستمع.

٢ - **عنصر الموضوع:** حين يتكلم الإنسان يتناول موضوعا معينا، عليه مراعاته، بحيث لا يستخدم مثلا كلمات علمية وهو يتحدث فى موضوع شخصى.

٣ - **عنصر الهدف:** قد نهدف من استعمال اللغة إلى إقناع الآخر أو إغضابه أو مجاملته إلى غير ذلك من الأهداف المتنوعة التى تتكاثر بتكاثر العلاقات الاجتماعية.

هذا التحديد الذى حدده فيرث للمعطيات الاجتماعية المؤثرة فى اللغة كان له فضل الربط بين الأشكال اللغوية والعناصر الاجتماعية الفعلية.

---

(١) اللسانيات من خلال النصوص للدكتور عبد السلام المسدى ١٧٥، ١٧٦

(٢) انظر: اللسانيات من خلال النصوص ١٧٦ .

مآخذ على نظرية السياق[1]:

لقد تعرضت نظرية فيرث – شأنها شأن أى نظرية– لأوجه من النقد منها:

١ – يرى القائلون بنظرية السياق ضرورة مراعاة أن المعنى لا يتحقق دون وجود أى سياق، وإذا وجد فإن الغموض يكتنفه، والمتكلم يجب أن يعرف معنى الجملة، قبل أن يستخدمها فى أى سياق، وبناء على ذلك فإن المعنى يظهر مستقلا عن السياق، ويستطيع اللغويون دراسته دون إشارة إلى السياق.

٢ – يجب أن يشمل عالم التطبيق جانبا من المعرفة الإنسانية العامة وترتبط الدلالة بالإشارة أو الحس،، ويصعب رسم خط واضح بين معنى كلمة أو جملة، والمعلومات المتصلة بها؛ ولذا فإننا نقصر اهتمامنا على العلاقات المنطقية، أو الارتباطات الحسية، فأى المعلومات يجب أن تتوفر لدى المتكلمين؟! إن أى نظرية دلالية لا يمكن أن تحيط بهذه المعلومات، ويعنى هذا أن هذه النظرية محدودة.

٣ – تصاغ نظرية السياق من عنصرين أساسيين: معنى وسياق يمكن ملاحظته، وهذا لا يمكن تطبيقه على كل صور التفاهم اللغوى، كقراءة صحيفة أو إلقاء محاضرة، هذا فضلا عن أننا يمكن أن نستخدم الكلمات للإشارة إلى أمور عقلية مجردة أو إلى أشياء خيالية لا وجود لها فى عالمنا.

٤ – لم يكن فيرث محددا فى استخدامه للمصطلح السياقContext مع أهميته، كما كان حديثه عن الموقف situation غامضا غير واضح، كما أنه بالغ كثيرا فى إعطاء ثقل زائد لفكرة السياق.

ويرفض بالمر الانتقادات التى وجهت إلى فيرث <u>للأسباب الآتية:</u>[2]

---

(١) انظر: علم الدلالة ٧٣، ٧٤، وعلم الدلالة إطار جديد ٧٨ – ٨٠ وسياق الحال فى اللسانيات الحديثة للدكتور عيسى شحاتة عيسى ١٨، ١٩.

(٢) انظر: علم الدلالة إطار جديد ٧٨، ٧٩، وسياق الحال فى اللسانيات الحديثة ١٩، ٢٠ .

١- لا يصح هذا النقد إلا فى حال الانطلاق من وجود ميدان لغوى وحيد يهتم بالعلاقة بين اللغة والعالم الخارجى، ويختلف عن ميدان دراسة الخصائص الداخلية للغة.

٢ - لقد ثبت فى مناقشة موضوع (الدلالة والمرجع) أنه يكاد يكون غير ممكن فى الأساس تقرير ما يحدث فى اللغة، وما يحدث فى العالم، وحين يكون الأمر على هذا النحو فليس بوسع المرء سوى مدح فيرث بدلا من لومه؛ لأنه لم يضع حدا فاصلا بين المجالات التى وصفها، وليست العلاقة بين اللغة والعالم سوى صورة عن أحد المجالات، وأما ما يحدث فى اللغة فيعكس العلاقات اللغوية الداخلية.

٣ - لم يعرض فيرث نموذجا لغويا شاملا يصف فيه اللغة وصفا تاما، وفى الواقع أنه لم يعتقد أن نموذجا كهذا كان ممكنا، حتى من حيث المبدأ مع أن اللغويين كلهم افترضوا أن مثل هذا النموذج ليس ممكنا فقط، بل هو أساسى – لأنه رأى أن اللغوى يتوصل فى أعلى درجات بحثه إلى أحكام جزئية تخص الدلالة.

مميزات المنهج السياقى[1]:

١- يجعل المعنى سهل الانقياد للملاحظة والتحليل الموضوعى.

٢- لم يخرج فى تحليله اللغوى عن دائرة اللغة، وبذا نجا من النقد الموجه إلى جميع المناهج السابقة (الإشارى والتصورى والسلوكى).

٣- إن مستويات اللغة تدرس بوصفها مساعدة فى بيان المعنى الذى يشمل جوانب لغوية وأخرى اجتماعية، وهذا يعنى أن مستويات اللغة تابعة للمعنى، وتدرس فى ضوئه، ومن جانب آخر فإن هذه المستويات مستقلة عنه، ولكل منها نظام خاص بها تماما كما هى الحال بالنسبة للمعنى، وليست تابعة له.

---

(١) انظر: علم الدلالة ٧٣، وسياق الحال فى اللسانيات الحديثة ٢٠ وعلم اللغة مقدمة للقارئ العربى ٣١٣ .

٤- القيمة الحقيقية لهذه النظرية أنها تمثل منهجا علميا موضوعيا يقوم على التعامل المباشر مع اللغة بمستوياتها المختلفة، وربط هذا التعامل بمستعمل اللغة، والجوانب الخارجية المؤثرة فى عملية الفهم.

٥- الدراسة الاجتماعية للدلالة تبعد بطبيعتها عن الثنائية التقليدية، ثنائية الجسد والروح، أو الكلمة والمضمون؛ إنها تعد الكلام نوعا من السلوك الاجتماعى ذا علاقة بعناصر أخرى غير لغوية.

رابعًا: نظرية الحقول الدلالية

" الحقل الدلالى (Semantic field) أو الحقل المعجمى (Lexical Field) هو مجموعة من الكلمات ترتبط دلالاتها، وتوضع عادة تحت لفظ عام يجمعها، مثال ذلك كلمات الألوان فى اللغة العربية، فهى تقع تحت المصطلح العام (لون) وتضم ألفاظا مثل: أحمر – أزرق – أصفر – أخضر – أبيض ٠٠ إلخ وعرفه Ullmann بقوله: هو قطاع متكامل من المادة اللغوية يعبر عن مجال معين من الخبرة، و Lyons بقوله: مجموعة جزئية لمفردات اللغة"[١].

وكان من أبرز دعاة هذه المدرسة "الأستاذ تريز(Trier) الذى هاجم الطريقة التقليدية فى التركيز على تاريخ الألفاظ المفردة، ودعا بدلا من ذلك إلى وجوب البحث فى قطاعات كاملة من الثروة اللفظية وإلى وجوب ملاحظة ما تعكسه هذه القطاعات من تغير فى وجهات النظر إلى الأشياء أو تقويمها وتفسيرها، وقد ابتكر هذا العالم المصطلح: الحقل اللغوى (Linguisticfield) وأطلقه على تلك القطاعات المنظمة الواضحة من قطاعات الفكر"[٢].

" وقد طبق (تريز) نظرية الحقل اللغوى على تاريخ ألفاظ الحياة العقلية فى اللغة الألمانية، واستطاع أن يثبت أن المعرفة الدينية والدنيوية فى غمرة العصور

---

(١) علم الدلالة ٧٩ .

(٢) دور الكلمة فى اللغة ٢٢٥ .

الوسطى كانت وحدة غير قابلة للفصل والتقسيم، فى حين تميزت تقاليد البلاط والفروسية من غيرها من المهارات تمييزا تاما"[1].

وقد شهد علم اللغة الحديث محاولات متعددة لتطبيق نظرية المجال الدلالى؛ من هذه المحاولات المحاولة التى قام بها إيسن لتصنيف الكلمات التى تتصل بالأغنام وتربيتها فى اللغات الهندو أوربية.

وهناك محاولات أخرى اقتصرت على قطاعات معينة من المعجم، كالمحاولة التى قام بها مونان فى كتابه (مفاتيح لعلم الدلالة) لبناء مجالين دلاليين؛ الأول خاص بالحيوانات المنزليةLes Animaux domestique والثانى خاص بكلمات المسكن Les Terms de l'Habitation.

وهناك دراسة أخرى لأدنسونAdanson لتصنيف علاقات النباتات كما تشير كتب اللغة إلى محاولة عالم الآثار جردانGardin لوضع تصنيف للأوانى والأدوات، واعتمد فى وصفها على تجديد الملامح أو العناصر الدلالية[2].

وإذا كانت المحاولات السابقة قد اقتصرت على قطاع بعينه من المعجم فإننا نجد محاولات أخرى عملت على تغطية قطاعات المعجم، ومن أشهر هذه الأعمال المعجم الذى قدمه روجيه(Roget) باللغة الإنجليزية والذى ذكر فى مقدمته أنه مرتب لا على حسب النطق، ولا على حسب الكتابة وإنما على حسب المعانى. وقد قام بتصنيف معجمه على أساس ستة مجالات دلالية فى: العلاقات المجردة والمكان والمادة والفكر والإرادة والعواطف، وقد اشتملت هذه المجالات الرئيسية على ٩٩٠ مجالا فرعيا.

ومن أشهر المعاجم الدلالية معجم اللغوى الألمانى دور نزايف (Dornseiff ١٩٣٣م) الذى شمل عشرين مجالا دلاليا رئيسيا أو على حد تعبيره مجموعات رئيسية.

---

(١) دور الكلمة فى اللغة ٢٢٦ .

(٢) انظر: أصول تراثية فى علم اللغة ٢٩٦ .

ويشتمل كل مجال دلالى رئيسى على مجالات فرعية تتراوح بين عشرين وتسعين مجموعة دلالية فرعية.

ومن أحدث المحاولات فى مجال تصنيف معاجم المعانى تلك المحاولة التى يقوم بها فريق من اللغويين مستخدمين فكرة المجال الدلالى لإعداد معجم دلالى للعهد الجديد؛ لتحديد معانى الكلمات الواردة به، ويشتمل هذا المعجم على تحليل ١٥ ألف معنى من معانى العهد الجديد الذى يبلغ عدد كلماته خمسين ألف كلمة توزعت على (٢٧٥) مجالا دلاليا[١].

معاجم الموضوعات فى اللغة العربية ونظرية الحقول الدلالية:

لقد اهتدى علماؤنا الأوائل إلى فكرة المجال الدلالى، وفطنوا إليها، وسبقوا الأوربيين بعدة قرون، بيد أنهم لم يسموها هذا الاسم "وكما رأينا محاولات الأوربيين المحدثين من الفلاسفة أو اللغويين لتصنيف قطاع من المعجم يشمل عددا معينا من الكلمات أو المعانى المتصلة بموضوع واحد، فإننا نرى الرسائل التى قام بتصنيفها اللغويون المسلمون اقتصر بعضها على مجال دلالى واحد؛ كخلق الإنسان، والإبل، والخيل، والشاء، والوحوش، والحشرات، والنبات، والشجر والمطر، والأزمنة، وكما اشتمل بعضها الآخر على أكثر من مجال دلالى كما وصل بعض هذه المؤلفات إلينا تحت عناوين مختلفة؛ مثل: كتب الصفات، أو الغريب، أو الألفاظ. لقد كانت هذه الرسائل والمصنفات النواة الأولى لمعاجم المعانى التى سبق بها المعجميون المسلمون الأوربيين بمئات السنين"[٢].

ومن معاجم المعانى التى تمثل فكرة المجال الدلالى الغريب المصنف لأبى عبيد القاسم بن سلام (المتوفى٢٢٤هـ) والمنجد لكراع النمل(المتوفى٣١٠ هـ)، ومبادئ اللغة للإسكافى (المتوفى٤٢١ هـ)، وفقه اللغة للثعالبى (المتوفى ٤٢٩هـ)، والمخصص لابن سيده (المتوفى ٤٥٨هـ).

---

(١) انظر: علم الدلالة ٨٤، ٨٥ وأصول تراثية فى علم اللغة ٢٩٦ – ٢٩٨

(٢) أصول تراثية فى علم اللغة ٢٩٨، ٢٩٩، وانظر : علم الدلالة ١٠٨، ١٠٩.

وإليك توضيحا لأهم معاجم الموضوعات:

(١) الغريب المصنف لأبى عبيد القاسم بن سلام (المتوفى٢٢٤هـ):

اشتمل هذا المعجم على خمسة وعشرين كتابا، يحتوى كل كتاب منها على عدة أبواب تصل إلى ٩٠٠ باب، وكتب هذا المعجم يمكن أن تجمع فى المجالات الدلالية الآتية: خلق الإنسان – السكون والطبيعة – الحيوانات والطيور والحشرات والأشجار والنبات – الماديات والأدوات [١].

(٢) المنجد فى اللغة لكراع النمل (المتوفى٣١٠ هـ):

هذا المعجم يقوم على أساس المجال الدلالى إلى جانب فكرة رئيسية أخرى هى المشترك اللفظى، والكتاب يشتمل على **ستة مجالات دلالية:**

المجال الأول: يذكر أعضاء البدن من أعلى إلى أسفل.

المجال الثانى: يذكر أنواع الحيوان السباع والبهائم والهوام.

المجال الثالث: يذكر الطيور وأشكالها.

المجال الرابع: يذكر السلاح وأنواعه.

المجال الخامس: يذكر السماء وما فيها.

المجال السادس: يذكر الأرض وما عليها.

والقسم الأخير من الكتاب لا يعد مجالا دلاليا بالمعنى المعروف، بل هو عبارة عن معجم يسير على حروف الهجاء، ويعتمد على فكرة المشترك اللفظى[٢].

(٣) مبادئ اللغة لأبى عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافى (المتوفى٤٢١هـ).

يبدأ هذا المعجم بمجال الطبيعة الذى يعالج الكلمات الخاصة بالسماء والكواكب والمياه والأشجار والرياح، ثم ينتقل إلى مجال الماديات فيتناول

---

(١) انظر: فصول فى فقه العربية ٢٥٩، وأصول تراثية فى علم اللغة ٢٩٩

(٢) انظر: أصول تراثية فى علم اللغة ٣٠٠ .

الملابس والأبسطة والحلى والجواهر والأدوات والأوانى، ثم يعرج إلى الطعام والشراب وأنواعهما المختلفة، وبعد ذلك ينتقل إلى الحيوانات: الخيل والإبل والأغنام والسباع والوحوش والطير ثم المجال الرابع والأخير، ويشمل النباتات والزروع والأشجار والحبوب والبقول[١].

(٤) فقه اللغة وسر العربية لأبى منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبى (المتوفى٤٢٩هـ):

يحتوى الكتاب على ثلاثين بابا، مقسمة إلى حوالى ستمائة فصل يقول الثعالبى: " وأزهر لى قربه سراج التبصر فى استتمام الكتاب وتقرير الأبواب، فبلغت بها الثلاثين على مهل وروية، وضمنتها من الفصول ما يناهز ستماية "[٢].

وشكل المجالات الدلالية فى هذا الكتاب يختلف عن الكتب السابقة؛ حيث يبدأ بأسماء الكليات التى تضم ما يتعلق بالإنسان والحيوان والنبات والجماد، ثم تتوزع الأبواب على مجالات دلالية فرعية متفرقة؛ لتشمل معظم قطاعات المعجم.

(٥) المخصص فى اللغة لأبى الحسن على بن سيده الأندلسى (المتوفى سنة ٤٥٨هـ).

وهو أكبر كتاب صنف فى المعاجم العربية على الترتيب الموضوعى ويقع فى سبعة عشر مجلدا تحوى كتبا متنوعة، وتحت كل كتاب مجموعة من الأبواب الفرعية، وهو يبدأ بخلق الإنسان وينتهى بالحديث عن أمور فى النحو والصرف، ويقسم الدكتور كريم زكى حسام الدين الكم الهائل من كلمات هذا المعجم على **<u>أربعة مجالات دلالية</u>** [٣].

١- الإنسان: صفاته الخَلْقية والخُلُقية، نشاطه – علاقاته – معتقداته.

٢- الحيوان: الخيل – الإبل – الأغنام – الوحوش – السباع – الهوام وغيرها.

---

(١) انظر: أصول تراثية فى علم اللغة ٣٠١، وفصول فى فقه العربية ٢٦٤

(٢) فقه اللغة وسر العربية ١١ .

(٣) انظر: أصول تراثية فى علم اللغة ٣٠٢، ٣٠٣ .

٣- الطبيعة: السماء – المطر – الأنواء – أنواع النباتات وغيرها.

٤- الماديات: المعادن – السلاح – الملابس – الطعام – المسكن – وغيرها.

مميزات نظرية الحقول الدلالية:

لهذه النظرية مميزات أهمها[١]:

١- الكشف عن العلاقات وأوجه الشبه والخلاف بين الكلمات التى تنضوى تحت حقل معين، وبينها وبين المصطلح العام الذى يجمعها.

٢- تجميع الكلمات داخل الحقل الدلالى وتوزيعها يكشف عن الفجوات المعجمية التى توجد داخل الحقل، أى عدم وجود الكلمات المطلوبة لشرح فكرة ما أو التعبير عن شيء ما، وتسمى هذه بالفجوة الوظيفية.

مثال ذلك: لو تم تصنيف الحيوانات بحسب الجنس والعمر لوجدنا اللغة العربية مثلا تضع بالنسبة للإنسان الكلمات (رجل – امرأة – ولد – بنت) ولكنها لا تفعل ذلك بالنسبة لكل الحيوانات؛ ولذلك لو تم إعداد قائمة بكل أمثلة الحيوانات فسنكتشف عددا هائلا من الفجوات فى المفردات المعجمية، وهذا ليس خاصا بالعربية بل هو عام فى كل اللغات.

٣- هذا التحليل يمدنا بقائمة من الكلمات لكل موضوع على حدة كما يمدنا بالتمييز الدقيق لكل لفظ، وهذا يسهل على المتكلم أو الكاتب أن يتخير ألفاظه الملائمة لموضوعه بدقة.

٤- هذه النظرية تضع مفردات اللغة فى شكل تجمعى تركيبى ينفى عنها التسيب المزعوم.

٥- كشف تطبيق هذه النظرية عن كثير من العموميات والأسس المشتركة التى تحكم اللغات فى تصنيف مفرداتها، كما بين أوجه الخلاف بين اللغات بهذا الخصوص.

---

(١) انظر: علم الدلالة ١١٠ – ١١٣ .

٦- حلت هذه النظرية مشكلة التمييز بين الهومونيمى والبوليزيمى؛لأن الكلمات المنتمية إلى حقول دلالية مختلفة سوف تعالج على أنها كلمات منفصلة (هومونيمى)؛ فكلمة (orange) برتقالى تخص حقل الألوان، وكلمة (orange) برتقال تخص حقل الفاكهة.

٧- دراسة معانى الكلمات على نظام الحقول الدلالية يعد فى الوقت نفسه دراسة لنظام التصورات، وللحضارة المادية والروحية السائدة، وللعادات والتقاليد والعلاقات الاجتماعية.

** ** ** **

المصادر والمراجع

١ – إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربع عشر للبنا الدمياطى، تصحيح الشيخ على محمد الضباع، مطبعة عبد الحميد أحمد حنفى، القاهرة (بدون تاريخ).

٢ – الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة ١٩٧٥م.

٣ – إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول للشوكانى، ط١، مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر ١٣٥٦هـ – ١٩٣٧م.

٤ – أساس البلاغة للزمخشرى، طبعة دار الفكر – بيروت ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.

٥ – أسرار البلاغة فى علم البيان لعبد القاهر الجرجانى تصحيح الشيخ محمد عبده، وتعليق السيد محمد رشيد رضا، طبعة دار المعرفة – بيروت ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.

٦ – أسس علم اللغة لماريو باى، ترجمة الدكتور أحمد مختار عمر، ط٨، عالم الكتب – القاهرة ١٩٩٨م.

٧ – الأشباه والنظائر للسيوطى، تحقيق د/ فايز ترحينى، طبعة بيروت ١٩٨٤م.

٨ – أصول تراثية فى علم اللغة للدكتور/ كريم زكى حسام الدين، ط٣، مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة ١٩٩٣م.

٩ – أصول الفقه للإمام محمد أبو زهرة، طبعة دار الفكر العربى، القاهرة ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.

١٠ – إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم لابن خالويه، طبعة إدارة جمعية دائرة المعارف العثمانية – حيدر آباد الدكن، نشر مكتبة المتنبى بالقاهرة (بدون تاريخ).

١١ – البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى، ط٢، دار الكتاب الإسلامى، القاهرة ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.

١٢ – البرهان فى علوم القرآن للزركشى، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة دار الجيل – بيروت ١٩٨٨م.

١٣ – البيان فى روائع القرآن للدكتور تمام حسان، ط٢، عالم الكتب – القاهرة ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠م.

١٤ – البيان والتبيين للجاحظ، وضع حواشيه موفق شهاب الدين، ط١، دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨م.

١٥ – التطور اللغوى مظاهره وعلله وقوانينه للدكتور رمضان عبد التواب، ط١، مكتبة الخانجى بالقاهرة، ودار الرفاعى بالرياض ١٤٠٤هـ – ١٩٨٣م.
١٦ – تفسير القرطبى (الجامع لأحكام القرآن)، دار الريان للتراث (بدون تاريخ).
١٧ – الحجة فى القراءات السبع لابن خالويه تحقيق/ أحمد فريد المزيدى، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.
١٨ – حجة القراءات لابن زنجلة، تحقيق/ سعيد الأفغانى، ط٣، مؤسسة الرسالة – بيروت ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.
١٩ – الخصائص لابن جنى، تحقيق/ محمد على النجار، طبعة المكتبة العلمية – بيروت (بدون تاريخ).
٢٠ – دراسات فى علم اللغة، القسم الثانى للدكتور كمال محمد بشر، طبعة دار المعارف بمصر ١٩٦٩م.
٢١ – دراسات فى فقه اللغة للدكتور صبحى الصالح، ط١١، دار العلم للملايين – بيروت ١٩٨٦م.
٢٢ – دراسة المعنى عند الأصوليين للدكتور طاهر سليمان حمودة، طبعة الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع – الإسكندرية (بدون تاريخ).
٢٣ – دروس التصريف للشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد، طبعة المكتبة العصرية، بيروت ١٤١١ هـ – ١٩٩٠م.
٢٤ – دروس فى علم أصوات العربية لجان كانتينو، ترجمة صالح القرمادى، تونس ١٩٦٦م.
٢٥ – دلالة الألفاظ للدكتور إبراهيم أنيس، ط٦، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٩١م.
٢٦ – الدلالة الصوتية للدكتور كريم زكى حسام الدين، ط١، مكتبة الأنجلو المصرية ١٤١٢هـ– ١٩٩٢م.
٢٧ – دور الكلمة فى اللغة لستيفن أولمان، ترجمة الدكتور كمال بشر، ط١٠، مكتبة الشباب، القاهرة ١٩٨٦م.
٢٨ – السبعة فى القراءات لابن مجاهد، تحقيق/ الدكتور شوقى ضيف، ط٢، دار المعارف – القاهرة ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م.
٢٩ – سورة التوبة دراسة صوتية وصرفية ونحوية للدكتور حمدى بخيت عمران، رسالة ماجستير، مخطوطة بمكتبتى كليتى الآداب بسوهاج، وقنا.
٣٠ – سياق الحال فى اللسانيات الحديثة للدكتور عيسى شحاته عيسى على.

٣١ – شذا العرف فى فن الصرف للشيخ أحمد الحملاوى، ط٢١، مطبعة مصطفى البابى الحلبى ١٩٧٩م.
٣٢ – شرح المفصل لابن يعيش، طبعة بيروت (بدون تاريخ).
٣٣ – الصاحبى فى فقه اللغة لابن فارس، تحقيق /السيد أحمد صقر، طبعة عيسى البابى وشركاه – القاهرة ١٩٧٧م.
٣٤ – علم الدلالة للدكتور أحمد مختار عمر، ط٥، عالم الكتب – القاهرة ١٩٩٨م.
٣٥ – علم الدلالة إطار جديد لبالمر، ترجمة الدكتور صبرى إبراهيم السيد، طبعة دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية ١٩٩٩م.
٣٦ – علم الدلالة فى الكتب العربية دراسة لغوية فى كتب التراث للدكتور أحمد عبد الرحيم حماد، ط١، دار القلم – الإمارات العربية ١٤٠٧هـ – ١٩٨٦م.
٣٧ – علم اللغة للدكتور على عبد الواحد وافى، ط١٠، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة ١٩٧٧م.
٣٨ – علم اللغة العام، الأصوات للدكتور كمال محمد بشر، ط٧، دار المعارف – القاهرة ١٩٨٠م.
٣٩ – علم اللغة بين القديم والحديث للدكتور عبد الغفار حامد هلال، ط٢، القاهرة ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.
٤٠ – علم اللغة مقدمة للقارئ العربى للدكتور محمود السعران، طبعة دار النهضة العربية – بيروت (بدون تاريخ).
٤١ – فصول فى علم اللغة العام، ف. دى سوسير، نقله إلى العربية الدكتور أحمد نعيم الكراعين، طبعة دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية ١٩٨٥م.
٤٢ – فصول فى فقه العربية للدكتور رمضان عبد التواب، ط٢، مكتبة الخانجى بالقاهرة، ودار الرفاعى بالرياض ١٤٠٤هـ – ١٩٨٣م.
٤٣ – فقه اللغة للدكتور على عبد الواحد وافى، طبعة دار نهضة مصر للطبع والنشر والتوزيع – القاهرة: (بدون تاريخ).
٤٤ – فقه اللغة وسر العربية للثعالبى، طبعة دار مكتبة الحياة – بيروت (بدون تاريخ).
٤٥ – فى اللهجات العربية للدكتور إبراهيم أنيس، ط٦، مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة ١٩٨٤م.

٤٦ – القاموس المحيط للفيروزآبادى، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م، نسخة مصورة عن الطبعة الثالثة للمطبعة الأميرية ١٣٠١هـ.
٤٧ – الكتاب لسيبويه تحقيق عبد السلام محمد هارون، طبعة عالم الكتب– بيروت (بدون تاريخ).
٤٨ –كراهة التقاء الساكنين فى أبنية العربية للدكتور/ حمدى بخيت عمران، بحث منشور بمجلة كلية الآداب بقنا، العدد الثامن، ١٩٩٨م.
٤٩ – الكشاف للزمخشرى، طبعة دار الفكر– بيروت (بدون تاريخ).
٥٠ – لسان العرب لابن منظور، طبعة دار المعارف بالقاهرة.
٥١ – اللسانيات من خلال النصوص للدكتور عبد السلام المسدى، ط١، الدار التونسية للنشر – تونس ١٩٨٤م.
٥٢ – اللغة لجوزيف فندريس ترجمة عبد الحميد الدواخلى ومحمد القصاص، طبعة القاهرة ١٩٥٠م.
٥٣ – اللغة العربية معناها ومبناها للدكتور تمام حسان، ط٣، عالم الكتب – القاهرة ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.
٥٤ – المثال فى تصريف الأفعال للدكتور على أحمد طلب، القاهرة، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.
٥٥ – المزهر فى علوم اللغة وأنواعها للسيوطى، تحقيق الأساتذة محمد أحمد جاد المولى، وعلى محمد البجاوى، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة دار الجيل– بيروت (بدون تاريخ).
٥٦ – المعرب من الكلام الأعجمى على حروف المعجم للجواليقى، وضع حواشيه وعلق عليه/ خليل عمران المنصور، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.
٥٧ – مقاييس اللغة لابن فارس، طبعة دار الكتب العلمية – بيروت.
٥٨ – المقصد لتلخيص ما فى المرشد للشيخ زكريا الأنصارى.
٥٩ – مناهج البحث فى اللغة للدكتور تمام حسان، طبعة مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة ١٩٩٠م.
٦٠ – من وظائف الصوت اللغوى للدكتور أحمد كشك، طبعة القاهرة ١٩٨٢م.
٦١ – النحو الوافى للأستاذ عباس حسن، ط٩، دار المعارف – القاهرة (١٩٨٧م).
٦٢ – الوجيز فى أصول الفقه للدكتور عبد الكريم زيدان، طبعة مؤسسة الرسالة – بيروت ١٩٨٧م.